

قل يا أهل الكتاب لستم على شيء
سعيد عبد العظيم
دار الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم





هذا الكتاب جزء من كتاب

«دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد»

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

قل يا



لستم على شيء

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين







مُقَدِّمَة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد:

فقد صدرت طبعات عديدة من كتاب (دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد) - بفضل الله - وانتُفع به، وطُلبت ترجمته بأكثر من لغة، وتم عرضه على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأجيز، ثُمَّ رُؤي أن يُطرح في هيئة أجزاء صغيرة؛ حتى يكون في متناول اليد.

وهذه الطبعة تصدر في وقت تطاول فيه بابا الفاتيكان الكاثوليكي بروما على شخص رسول الله ﷺ، حيث نقل مؤيداً قول الإمبراطور البيزنطي للأديب الفارسي المسلم أن النَّبيّ ﷺ ما جاء إلاَّ بالشرّ والسوء بالنسبة للإنسانية، وأن دعوته ما انتشرت إلاَّ بحدّ السيف - كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون

إلاَّ كذبًا - بل جاء بالحق وصدّق المرسلين، ولا تُعرف نبوة نبي إلاَّ من طريقه صلوات الله وسلامه عليه.

والبشارة به ﷺ موجودة في الكتب السابقة، ما لا يقل عن مائة وخمسين بشارة، مبعثه ومهجره وهيئته ودعوته... والكفر به كُفرٌ بالله وبجميع الأنبياء والمرسلين، هو سيد الأولين والآخرين والمبعوث رحمة للعالمين، أول شافع وأول مشفع، صاحب لواء الحمد، آدم فمن بعده تحت لوائه، ولو كان موسى وعيسى أحياء زمن بعثته ﷺ لكان لزامًا عليهما أن يتابعاه.

هو أول من يدخل الجنة، فيقول خازنها مَنْ؟ فيقول: محمد. فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك، بُعث ﷺ بقضيب الأدب حرزًا للأميين، فتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، زكّى لسانه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ (النجم: ٣)، وزكّى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ (النجم: ١٧)، وزكى معلمه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

(النجم: ٥)، وزكّاه كله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ⓸﴾ (القلم: ٤). هدانا الله بنبيه محمد ﷺ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وآتانا ببركة رسالته ويُمن سفارته خير الدنيا والآخرة، وكان من ربه بالمنزلة العليا فلا يُذكر اسم الله إلا ويُذكر النبيّ ﷺ معه.

وأدنى ما له ﷺ من الحق علينا، بل هو ما أوجب الله من تعزيره ونصره بكل طريق، وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن وحفظه وحمايته من كل مؤذٍ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق، ولكن ليبلو بعضكم ببعض، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.

وقد ذكر ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول» أن من سبّ النّبيّ ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله من مسلم أو كافر، وهذا المذهب عليه عامة أهل العلم، فإن كان ذمياً تعيّنَ قتله، فلا يجوز المن عليه ولا مفاداته، فإن وصل أمره إلى الحاكم وتاب السّاب أقام

الحاكم الحدّ عليه، وللنبيّ ﷺ أن يعفو في حقه، وليس للأمة أن تصفح عمن سبّ نبيّها صلوات الله وسلامه عليه، وأن الساب إن كان مسلمًا فإنه يُكفّر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، والكتاب يقع في نحو من ستمائة صفحة من القطع الكبير.

لقد ثارت ثائرة المسلمين هنا وهناك بسبب إساءة الصحيفة الدانماركية من قبل ودُعي رئيس الوزراء الدانماركي إلى الاعتذار، ولم يعتذر وأصرَّ هو وملكة الدانمارك على أنها مسألة حريات، ودُعي البابا للاعتذار، وخرج بدوره في بيان دبلوماسي يتعجب لموقف المسلمين من كلمة نقلها عن الإمبراطور البيزنطي.

وهكذا يتمادى الغرب الصليبي في بذاءته وسفهه، وقد أغراه ضعف هذه الأمة وانحرافها عن دينها، فانتقل من حروب الإبادة التي لا هوادة فيها للمسلمين في أفغانستان والعراق وفلسطين... ومن قبل في البوسنة

والهرسك، حروب صليبية - كما وصفها الرئيس الأمريكي بوش - طالت الشيوخ الرُّكّع والبهائم الرُّتع والأطفال الرُّضع، انتهكوا أعراض المسلمات وشردوا ملايين المسلمين في بقاع الأرض، فعلوا ذلك تحت سمع وبصر الأمم المتحدة - ربيبتهم والمتواطئة معهم - فعلوا ذلك وهم ينعتون الأمة المسلمة بنعوت التطرف والإرهاب، ويتطاولون على رسول الله ﷺ - رمتني بدائها وانسلت - .

وإذا كان حاضرهم شاهدًا على دمويتهم وإجرامهم، فماضيهم لا يقل شرًا وسوءًا، فما بين الحروب الصليبية ومساعدتهم التتار ومحاكم التفتيش، لقد أبادوا ما لا يقل عن ثلاثة ملايين مسلم في الأندلس وحدها، حاضرهم وماضيهم لا يعرف السماحة ولا السلام، وأقوالهم وأفعالهم تنضح بالسُّم الزُّعاف لهذه الأمة، خذ وصفهم من خالقهم، ولا ينبئك مثل خبير ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: ١١٨)، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا

النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠)، ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ١٠).

وهم في انطلاقهم لإبادة المسلمين وذبح أطفالهم يصدرون عن عقيدة؛ ففي أسفار التوراة التي يتداولها اليهود تقرير شريعة الحرب والقتال في أبشع صورة من صور التخريب والتدمير والإهلاك والسبي؛ فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح العشرين منه عدد ١٠ وما بعده ما يأتي نصه: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفُتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا، التي

ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا، فلا تبقِ منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا - الحثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليوسيين، كما أمرك الرب إلهك».

وفي إنجيل متى المتداول بأيدي النصارى في الإصحاح العاشر عدد ٢٤ وما بعده يقول: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا، بل سيفًا، فإنني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني، فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر مني، فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه، ويتبعني فلا يستحقني، ومن وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها».

هذا شأن من كتبوا الكتاب ثم قالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ولم يكن فعل الكاثوليك بالبروتستانت وتنكيلهم بهم بأقل من فعلهم بالمسلمين،

وطوائف النصارى يكفّر بعضهم بعضًا، وما اجتمعوا مجتمعًا إلا وتلاعنوا فيه، فكلهم لاعن وكلهم ملعون، ولو اجتمع عشرة منهم لقاموا على أحد عشر قولاً.

وإذا كانوا قد نسبوا لله الصاحبة والولد وسبوا الخالق جل وعلا، فهل يُستبعد منهم سبّ النّبيّ ﷺ وانتقاصه، وهم مع تأليههم لعيسى عليه السلام يزعمون أنه قد مات وأن اليهود ألبسوه إكليل الغار وصفعوه على قفاه، وقالوا له يا ابن كذا.. عقائد خربة، وكل إناء بما فيه ينضح.

وهذه العقيدة مسروقة ومغشوشة من عقيدة الهنود في بوذا وكرشته، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ (التوبة: ٣٠، ٣١).

لم ينعم النصارى بالطمأنينة والرحمة تحت حكم

بني ملتهم من الرومان ولم يتذوقوا طعم ذلك إلاّ تحت حكم المسلمين، بل كانت المرأة من أهل الشام لا تأمن على نفسها في وجود أبيها في الوقت الذي تأمن فيه بحضرة صحابة رسول الله ﷺ.

وقد أظهر بابا روما محبة ومودة لليهود في نفس البيان الذي ألقاه في ألمانيا، وهذا لا يستغرب فعقد الإخاء وثيق بين اليهود والنصارى، وهو إخاء عقائدي في المقام الأول، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١).

وقد استطاع اليهود في الآونة الأخيرة استصدار وثيقة من الفاتيكان تبرئهم من دم المسيح، فبطلت بذلك عقيدة الصلب والفداء عند النصارى، وهي صُلب العقيدة النصرانية، ونحن بدورنا نعتقد أن المسيح في السماء وينزل في آخر الزمان، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بشريعة الإسلام،

ويموت بالمدينة، ويُصلي عليه المسلمون، ويُدفن مع رسول الله ﷺ ، فلم يقتله اليهود، ولم يمت بعد، بل أُلقي شبهه على يهوذا الخائن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء ١٥٧).

وتواطؤ الغرب الصليبي اليوم مع اليهود على حساب المسلمين في فلسطين وتواطؤهم مع الملاحدة الشيوعيين لإبادة المسلمين في الجمهوريات الإسلامية كالشيشان أمرٌ لا يخفى على أحد، ولعل البابا في بيانه السفيه يُنشط ذاكرتنا؛ حتى لا ننسى عقيدتهم وسلوكهم تجاهنا عبر العصور وكر الدهور، وإلاَّ فهم يعرفون النبيَّ ﷺ كما يعرفون أبناءهم، مبعثه ومهجره ودعوته، والواجب عليهم أن يدخلوا في السلم كافة، وأن يدينوا بدينه ﷺ ؛ ففي الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار**» (رواه مسلم).

إن بابا روما يعلم كيف انتشر الإسلام في أوروبا

ومصر وأفريقيا وجنوب شرق آسيا، وكيف عمّت دعوته المشارق والمغارب، كما يعلم أيضًا ما صنعوه هم مع المسلمين في البوسنة والهرسك وأفغانستان والعراق..

وهذا تاريخ لن يُنسى وحقوق لن تسقط بالتقادم، وليس عندنا ما نتوارى به خجلاً، فكم من بلد فتحت بالقرآن وكم من بلد فتحت بالسيف والسنان ولا حجر على سعة رحمة الله، والفارق كبير بين من يجاهد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله في الأرض وتعبيد الدنيا بدين ربها، وبين من يقاتل في سبيل الطاغوت، أو لنشر ديمقراطية أو نصرانية، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (التوبة: ٣٦)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ١٩٠)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾ (التوبة: ١٢٣).

نصوص كثيرة تدل على جهاد الدفع والطلب، أي دفع الكفار عن ديار المسلمين وطلبهم في عقر ديارهم، قال ابن تيمية في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»: «. . فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداءً ودفعًا، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداءً ودفعًا لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى».

لا يكتفى في مواجهة هذه البذاءات الصليبية بالشجب والتنديد واستجداء الإعتذار وطلب المقاطعة . . فقد فُتحت عمورية بسبب امرأة مسلمة انتُهك عرضها فاستصرخت، ولما علم المعتصم ركب فرسه وانطلق يعدو والجيش على إثره، فتح عمورية ثم قال: أين التي تستصرخ. وقال لإمبراطور الروم جئتك بجيش أوله عندك وآخره عندي.

وقال هارون الرشيد مخاطبا ملك الروم: أما بعد، فمن هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، فإن الأمر ما ترى لا ما تسمع. وكان نقفور قد همّ بمنع الجزية وإيذاء من أسلم عنده.

ولم يقعد صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة حطين حتى أتى بالأمير الذي سبّ رسول الله ﷺ وقطع رقبته.

ومن قبل بعثَ رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم يقول له: «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين**» أي الفلاحين الأكارين، وخيّره بين أمور ثلاثة: إما الإسلام أو الجزية عن يد وهو صاغر أو القتال.

وقد لا نستطيع هذا ولا ذاك، والواجبات تسقط بالعذر والعجز، وعدم الاستطاعة، وشرع الله مصلحة كله، وليس المقدور عليه كالمعجوز عنه، ولكن ليس لنا أن نستمرئ حالة الضعف والاستخزاء، فالواجب أن نأخذ بأسباب القوة وأن نعود لتطبيق شريعة ربنا ونصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة سوآء كنا حكامًا أو محكومين، فلا يفلّ الحديد إلا الحديد.

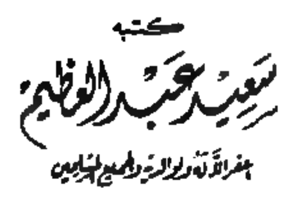
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة: ٢٥١)، فإن أبينا ذلك فلنعلم أن لله جنود

السموات والأرض، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ (محمد: ٣٨)، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (الأنعام: ٨٩). ولله أوس آخرون وخزرج يثأرون لنبيهم، وينتقمون لدينهم.

ونحن نبشر بابا الفاتيكان بفتح روما عاصمة إيطاليا اليوم على أيدي المسلمين؛ فقد سُئل النّبيّ ﷺ: أقسطنطينية تُفتح أولاً أو رومية؟ قال: «القسطنطينية تُفتح أولاً» وقد تمّ الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني بعد ثمانمائة سنة من إخبار الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، وستُفتح رومية وهي روما بإذن الله تعالى، ولابد، ولتعلمن نبأه بعد حين، والله غالب على أمره ومُتمّ نوره ولو كره المشركون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه



ويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم

حذر سبحانه من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع، فكل من بدَّل وغيَّر أو ابتدع في دين الله ما ليس منه ولا يجوز فيه؛ فهو داخل في هذه الآية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

وفيها وعيد شديد وعذاب أليم لكل من صنع ذلك ونسبه إلى الله، وقد حذر رسول الله ﷺ أمته لما قد علم ما يكون في آخر الزمان فقال: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في

النار إلا واحدة»، فحذرهم أن يُحدِثوا من تـلقاء أنفسهم في الدين خلاف كتاب الله، أو سنـته، أو سنة أصحابه فيضلوا به الناس.

وقد وصف الله تعـالى ما يأخذونه بالقـلة إما لفنائه وعدم ثباته، وإما لكونه حرامًـا؛ لأن الحرام لا بركة فيه ولا يربو عند الله. قال ابن اسـحاق وغيره كـانت صفة رسول الله ﷺ في كـتابهم ربْعـة أسر، فـجعلوه آدم سبطًا طويلاً، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صـفة النبـي ﷺ الذي يبعث في آخـر الزمـان ليس يشـبهـه نعت هذا، وكانت لـلأحبـار والعلماء رئاسـة ومكاسب فخافوا إن بينوا أن تذهب مآكلهم ورئاستهم، فمن ثَمَّ غيروا.

حال الأناجيل الموجودة

الإنجيل معناه البشارة بالعبرية، والأناجيل المعروفة لدى النصارى أربعة: (متى ويوحنا ولوقا ومرقص)، أما إنجيل برنابا فلا تعترف به الكنيسة وهذه الأناجيل تختلف فيما بينها، وقد ألفها التلاميذ بعد رفع المسيح، وهي تتسم بانقطاع السند، وعدم العلم بالمؤلف الحقيقي، والمترجم، ولم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف، وهذه الأربعة المذكورة هي التي أقرتها الكنيسة وإلا فالأناجيل تزيد على المائة، ويعتبر إنجيل (متى) أقدمها وهو مترجم والأصل مفقود، ثم هناك اختلاف في إنجيل مرقص وهل هو بطرس أم مرقص الذي كان ينكر ألوهية عيسى، أما بالنسبة للوقا فقد كان

من تلاميذ بولس، وكان بولس يهوديًا متعصبًا على المسيحية وأباح لهم أكل الميتة وشرب الخمر، ويأتي بعده يوحنا الذي تعتمد الكنيسة في معتقدها عليه مع علمها اليقيني بعدم صحة نسبة هذا الإنجيل إليه.

وهذه الأناجيل جميعًا تختلف عن الإنجيل المُنزل على عيسى صلوات الله وسلامه عليه، ولم يذكر نسب المسيح إلا في الإنجيلين (متى ولوقا) فقد انفردا بذكر النسب واختلفا اختلافًا كبيرًا في نسبه، بل والتناقض بينهما واضحًا لا يمكن معه التوفيق، فنسبه في لوقا ينتهي إلى يهود سي يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم وكذلك متى، وفي لوقا من أولاد ناثان بن داود وأن آباء المسيح غير سلاطين وغير مشهورين، وفي متى من أولاد سليمان وأن آباء المسيح سلاطين مشهورون!!!

فالقوم يكتبون بلا تحقيق، ويؤمنون بلا تثبت،

ويصدقون بكل ما يُلقى عليهم من رؤساء الدين في الكتاب المقدس وغيره، وإن شئت قلت: هم قوم بلا إسناد، فلا سند متصل صحيح عندهم، فكيف يوثق بأخبارهم، ومن المعلوم أن الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء كما قال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ لما قيل له: ما بال هذه الأحاديث الموضوعة؟ قال: تعيش لها الجهابذة.

إنجيل برنابا

وهو أقربها إلى الحق والصواب، وقد جاء فيه ما يلي: «ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم، صدقوني إني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم من روحه نبوةً ولما رأيته امتلأت عزاءً قائلاً: يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سَيْرَ حذائك لأني إن نلت هذا صرتُ نبيًا عظيمًا وقدوس الله ...».

وجاء في إنجيل (يوحنا) وهو من الأناجيل المعتمدة عند النصارى لفظ «فارقليط»، وهو معرب من اللفظ اليوناني الأصل (باركلي طوسن) ومعناه (المعزِّي، والمعين، والوكيل)، ويشابهه لفظ (بير كلوطوس) ومعناه (محمد وأحمد ومحمود).

يرى صاحب كتاب «إظهار الحق» العلامة رحمة الله الهندي: «إنه من الواضح أن التفاوت بين اللفظين يسير جدًا، وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة، وأن تصحيف (بيركلوطوس) إلى (باركلي طوس) من الكاتب في بعض النسخ قريب القياس، ثم رجح أهل التثليث هذه النسخة على النسخ الأخرى...».

وأهل التثليث هم النصارى الذين يقولون: إن الله هو الأب والابن عيسى وروح القدس (جبريل)، وقد حكى القرآن الكريم قولهم حين قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ (المائدة: ٧٣)، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وهكذا فأنت ترى أن لفظ (المعزى أو فارقليط) المذكور في الأناجيل المعتمدة عندهم هو التبشير باسمه (محمد) أو (أحمد)، وهذه البشارة هي المذكورة حكاية عن المسيح في قوله جل وعلا ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف ٦).

كنت في المطبعة يومًا في السبعينات، وتقابلت هناك مع رجل يُدعى (بسة) يطبع كتبًا للكنيسة، ودار حوار بيننا فقلت له: بشارة النبي ﷺ باسمه الصريح مذكورة في إنجيل برنابا. فرد عليَّ قائلاً: برنابا كان زانيًا ولذلك طردته الكنيسة!! فانتهى الحوار وانصرفنا.

المسيح لم يفوضهم في التشريع

هم يقرون أن المسيح قال: «إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضًا بل متممًا، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئًا من شريعة موسى، ومن نقض شيئًا من ذلك يُدعى ناقضًا في ملكوت السماء»، وقال لأصحابه: «اعملوا بما رأيتموني أعمل، وارضوا من الناس بما أرضيتكم به، ووصوا الناس بما وصيتكم به، وكونوا معهم كما كنت معكم، وكونوا لهم كما كنت لكم»، وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريبًا من ثلاثمائة سنة، كما يذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ، ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى

الناس بما يهوون، ومكايدة اليهود، ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح، والانسلاخ منه جملة.

فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح: إنه ساحر، مجنون، ممخرق، ولد زنية، فقالوا: هو إله تام، وهو ابن الله!!، ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان، ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة، ورأوهم يتجنبون مواكلة الحائض وملامستها ومخالطتها فجامعوها، ورأوهم يحرمون الخنزير فأباحوه وجعلوه شعار دينهم، ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة، وقالوا: كل ما شئت، ودع ما شئت لا حرج، ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق، ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاءوا، ويحللوا

ما شاءوا، ويحرموا ما شاءوا، ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأحلوا السبت، مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه، ورأوهم ينفرون من الصليب، فإن في التوراة: «ملعون من تعلق بصليب»، والنصارى تقر بهذا، فعبدوا هم الصليب، وهكذا ذهبت النصارى تنقض شريعة موسى وعيسى: شريعةً شريعةً، مكايدةً لليهود ومغايظة لهم، واحتيالاً بذلك على الأمم، ليحببوهم إلى دين المسيح، ويدخلوهم فيه، وكانوا كلما أرادوا إحداث شيء اجتمعوا مجمعًا، وافترقوا فيه على ما يريدون إحداثه!!.

صناديق الغفران

ليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدًا، ولا عذاب في الآخرة، لأن القس والراهب يغفره لهم، فكلما أذنب أحدهم ذنبًا أهدى للقس هدية، أو أعطاه شيئًا، ليغفر له به!!، وإذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس، ليطيبها له، فإذا انصرفت من عنده، وأخبرت زوجها أن القس طيبها، قبل ذلك منها، وتبرك به!!، مَن يطيِّب من؟! ومَن يُطهِّر من؟!، وأين هذا من قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦)، وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر:٤٩-٥٠)، وقوله ـ عزَّ جلَّ ـ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٥)؟!

فالتوبة النصوح يشترط فيها الندم على ما مضى، والعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية، والإقلاع بالجوارح عن كل ما يغضب الله، ورد الحقوق لأصحابها إن تعلقت المظلمة بالآدميين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (التحريم: ٨).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ..﴾

قال ابن عباس: جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: ألست تُقرّ أن التوراة حق من عند الله؟ قال: «بلى»، فقالوا: «فإنا نؤمن بها، ولا نؤمن بما عداها، فنزلت الآية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (المائدة: ٦٨)، أي لستم على شيء من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ، والعمل بما يوجبه ذلك منهما.

وقال أبو علي: ويجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (المائدة: ٦٤)، أي: يكفرون به فيزدادون

كفراً على كفرهم، والطغيان تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه، ثم ورد الخطاب لرسول الله ﷺ تسلية له: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٦٨)، وليس بنهي عن الحزن؛ لأنه لا يقدر عليه، ولكنه تسلية، ونهي عن التعرض للحزن، ولا غرابة في جحد أهل الكتاب رسالة محمد ﷺ وقد سبوا الله، فأمة أطبقت على أن الإله الحق ـ سبحانه عما يقولون ـ صُلب، وصنع، وصفع، وسمر، ووضع الشوك على رأسه، ودفن في التراب، ثم قام في اليوم الثالث، وصعد وجلس على عرشه يدبر الأمر للسموات والأرض، لا يكثر عليها أن تطبق على جحد نبوة محمد ﷺ، وكيف ننكر على أمة أطبقت على صلب معبودها وإلاهها، ثم عمدت إلى الصليب، فعبدته، وعظمته، وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه، وأن تهينه غاية

الإهانة، إذ صلب عليه إلاهها الذي يقولون تارة: إنه الله، وتارة يقولون: إنه ابنه، وتارة يقولون: ثالث ثلاثة؛ فجحدت حق خالقها، وكفرت به أعظم كفر، وسبته أقبح مسبة، وجحدت حق عبده ورسوله، وكفرت به، فاليهود والنصارى كفروا بالرسالة المنزلة على نبيهم في الوقت الذي كفروا فيه برسول الله ﷺ، ولم يقيموا التوراة والإنجيل، في الوقت الذي لم يدخلوا فيه في الإسلام.

الأصول الخمس التي اتفقت عليها الشرائع

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣).

هذه الآية تشتمل على الأصول الخمس ففي جميع الشرائع كما يقرر ابن تيمية، فالفواحش: كالزنا، واللواط، والإثم، وهو ما يوجب الذم، ويتناول كل معصية يتسبب عنها، الإثم والبغي بغير الحق أي: التعدي على الناس في دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم من غير أن يكون على جهة القصاص والمماثلة، وفيها تحريم الشرك به سبحانه، والقول عليه بغير علم في أسمائه، وصفاته، وشرعه، وهذه المحرمات الخمس

التي حرمها جميع الرسل، والشرائع، والكتب، هي محرمات على كل أحد في كل حال لا تباح قط.

وأصل الشرك والكفر القول على الله بلا علم، فكل مشرك قائل على الله بلا علم دون العكس، إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع في الدين، فهو أعم من الشرك، وهذه المحرمات المذكورة فيها مفاسد عامة وخاصة، وضررها شديد، وهي عظيمة الخطر على الأنفس، وعلى الأمة جمعاء.

وفي هذه الآية إشارة إلى أن أصول الإيمان لا تقبل إلا بوحي من الله يؤيده البرهان، ودلت على عظم شأن الدليل في الدين، وأنه لا يحل لأحد أن يحرم شيئًا تحريمًا دينيًا على عباد الله، أو يوجب عليهم شيئًا إلا بنص صريح عن الله ورسوله، وأن من تهجم على ذلك

فقد تجرأ على الله، وأساء إلى نفسه، وإلى عباد الله، وأن من تبعه على ذلك فقد جعله ربًا له.

ومن ثم كان فقهاء الصحابة والتابعين، ومن تبعهم من السلف يتحاشون القول في الدين بالرأي، أو فيها الإنكار على من نسب إلى دين الله تحليل شيء، أو تحريمه من عنده لا دليل عليه: من كتاب ولا سنة.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾ (النحل:١١٦) الآية، كما أن فيها تحريم تشبيه الله بخلقه، لأنه قول على الله بلا علم وفيها لطف الله بخلقه حيث حرم عليهم ما فيه مضرة عليهم، وحذرهم من الشرك، فكل الأدلة على تحريمه، وأوجبت التوحيد لله جلَّ وعلا وتقدَّس.

ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا

حرص اليهود على نسبة إبراهيم لليهودية، كما حرص النصارى على نسبته للنصرانية، ومن المعلوم أن نبي الله إبراهيم كان قبل زمن موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد نزهه سبحانه من دعاويهم الكاذبة، وبين أنه كان على الحنيفية الإسلامية، ولم يكن مشركًا.

والحنيف الذي يوحد، ويضحي، ويختتن، ويستقبل القبلة.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران:٦٧).

كما نهاهم عن الجدال بلا علم في أمره، قال تعالى: ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ (آل عمران:٦٦)، يعني في أمر محمد ﷺ، لأنهم كانوا يعلمونه فيما يجدون من نعته في كتابهم، فحاجوا فيه بالباطل. قال تعالى: ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ (آل عمران:٦٦)، يعني

دعواهم في إبراهيم أنه كان يهوديًا أو نصرانيًا.

قال ابن عباس: قال رؤساء اليهود: والله يا محمد، لقد علمت أنَّا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك فإنه كان يهوديًا، وما بك إلا الحسد، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨)، فأحق الناس بإبراهيم الذين هم على ملته وسنته، وأفرد ذكر النبي ﷺ ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ تعظيمًا له.

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إن لكل نبي وُلاةً من النبيين، وإن وليِّي منهم أبي، وخليل ربي»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ (آل عمران: ٦٨)، وقد بين سبحانه أن إبراهيم كان إمامًا للناس كلهم، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤)، وهو القدوة، ومعلم الخير الذي يؤتم به، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠).

التوراة ودعوتها إلى التوحيد

التوراة شريعة مستقلة كالقرآن بعكس الإنجيل، فإنه عبارة عن بعض الأحكام، والمواعظ، والآداب التي أضيفت للتوراة، ولذلك سُمي الإنجيل بالعهد الجديد، والتوراة بالعهد القديم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ (الأحقاف: ٢٩-٣١).

فهنا قالت الجن: أنزل من بعد موسى، ولم تقل: أنزل من بعد عيسى للسبب الذي ذكرنا، وقد ورد ذكر

التوراة في القرآن في عدة مواضع، ووصفت بأنها هدى، ونور، وضياء، وذكر، وتمام على الذي أحسن وتفصيل لكل شيء، وأن الله أمر بني إسرائيل بأن يأخذوا بأحسنها، وأن يأخذوها بقوة، وأن يقيموا أحكامها، وأن لا يشتروا بها ثمنًا قليلاً، وأن لا يحرفوا كَلِمها عن مواضعه.

وقد وردت نصوص عديدة في التوراة تدعو إلى التوحيد، وتحذر من صور الشرك، فقد جاء في سفر الخروج: «إن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر أرض العبودية».

وفي سفر التثنية: «فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك، لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة، العظيم، الجبار، المهيب، الرب إلهك تتقي، وإياه تعبد، وبه تلتصق، وباسمه تحلف، وهو إله واحد لا شريك

له، الرب إلهُنا رب واحد، لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم، لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم».

وجاء في سفر اللاويين: «لا تلفتوا إلى الأوثان، وآلهة مسبوكة، لا تصنعوا لأنفسكم»، وكما نُهوا عن عبادة الأوثان، نهوا عن عبادة النجوم، وغيرها كما جاء:

«لا ترفع عينيك وتنظر إلى السماء، وتنظر إلى الشمس، والقمر، والنجوم، كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر، وتسجد لها، وتعبدها».

بل وأمروا أن يعاملوا بالشدة جميع الأمم التي تدين بعبادة الأوثان، كقوله في سفر التثنية: «فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهدًا، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم،

بنتك لا تعط لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك، لأنه يرد ابنك من ورائي، فيعبد آلهة أخرى، تهدمون مذابحهم، وتكسرون أصنامهم، وتقطعون سواريهم، وتحرقون تماثيلهم بالنار، وتماثيل آلهتهم تحرقون بالنار، لا تشته فضة، ولا ذهبًا مما عليها لتأخذ لك، لئلا تصاد به، لأنه رجس عند الرب إلهك».

وكما أمروا بالقسوة على الأمم الوثنية أمروا بمثل ذلك في حق من يشرك منهم، فقد أمر عليه السلام بني لاوي رهطه بقتل عبدة العجل حين عُبد العجل في غيبته، ففي سفر الخروج: «هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه، ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، وكل واحد قريبه»، وفي سفر الخروج: «من ذبح لآلهة غير الرب يهلك».

وفي التثنية: «والرجل أو المرأة الذي يذهب ويعبد آلهة أخرى، ويسجد لها، أو للشمس أو للقمر، أو كل من جند السماء يخرج، ويرجم بالحجارة حتى يموت، والقرية التي تعبد آلهة أخرى يضرب سكانها بحد السيف، ويحرم كل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، ونحرق جميع أمتعتها بالنار، وتكون تلاً إلى الأبد، لا تبنى بعد، وإذا أغرى أحد بالشرك يقتل، ولو كان المغري أخاك ابن أبيك، أو ابنك، أو بنتك، أو امرأة تخصك، أو صاحبك الذي مثل نفسك، فلا ترض منه، ولا تسمع له، ولا تشفق عليه، ولا ترق له، ولا تستره، بل تقتله قتلاً، يدك تكون عليه أو لا تقتله، ثم أيدي جميع الشعب أخيراً ترجمه بالحجارة حتى يموت».

الدعوة إلى التوحيد في الأناجيل

في إنجيل متَّى:

ورد في الإصحاح الرابع قول إبليس للمسيح: «إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، فإنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فيقول له المسيح: مكتوب أيضًا لا تجرب الرب إلهك».

وحين أخذه إبليس إلى جبل عال جدًا، أو أراه جميع ممالك العالم، ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي. قال له يسوع: اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد».

وفي الإصحاح السادس يقول المسيح لتلاميذه: «فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في

السماء، كذلك على الأرض، خبزنا كفافًا، وأعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد . . آمين».

وفي الإصحاح الثاني والعشرين يقول: «إنما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: أنا إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، ليس الله إله أموات، بل إله أحياء».

وفي إنجيل مرقص:

من الإصحاح الثاني عشر يسأل أحد الكتبة يسوع: «أية وصية هي أول الكل؟»، فيجيبه بأن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى».

وفي الإصحاح الثامن عشر: «وسأله رئيس قائلاً:

أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟، فقال له يسوع: لماذا تدعونني صالحًا، ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله».

وفي إنجيل يوحنا:

الإصحاح الخامس: «كيف تقدرون أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه».

وفي الإصحاح السابع عشر من هذا الإنجيل يقول يسوع المسيح: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

وهذه النصوص السابقة تدل على أن المسيح عليه السلام دعا إلى عبادة الله وحده، ولم يدع أحدًا إلى عبادة نفسه، والقرآن يشهد له أنه ما خالف الأنبياء والمرسلين في دعوة التوحيد.

قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ

بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (الزخرف ٦٣-٦٤).

ويحكي لنا القرآن في سورة المائدة صورة لما سيكون يوم القيامة حين يُسأل عيسى عليه السلام عما يقوله النصارى من أمرهم أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله.

فيجيب على ذلك البهت بهذا الجواب المفحم:
﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة: ١١٦-١١٧).

أصول متفق عليها بين جميع النبوات تتعلق بالله جل وعلا

أحدها ـ أن الله سبحانه وتعالى قديم، واحد لا شريك له في ملكه، ولا ند، ولا ضد، ولا وزير، ولا مشير، ولا ظهير، ولا شافع إلا من بعد إذنه.

الثاني ـ أنه لا والد له، ولا كفؤ، ولا نسيب بوجه من الوجوه، ولا زوجة.

الثالث ـ أنه غني بذاته، فلا يأكل، ولا يشرب، ولا يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه.

الرابع ـ أنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم، والمرض، والسِّنة، والنوم، والنسيان، والندم، والخوف، والهم، والحزن، ونحو ذلك.

الخامس ـ أنه لا يماثل شيئًا من مخلوقاته، بل ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

السادس ـ أنه لا يحل في شيء من مخلوقاته، ولا يحل في ذاته شيء منها، بل هو بائن عن خلقه بذاته، والخلق بائنون عنه.

السابع ـ أنه أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، وفوق كل شيء، وعال على كل شيء، وليس فوقه شيء البتة.

الثامن ـ أنه قادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء يريده، بل هو الفعال لما يريد.

التاسع ـ أنه عالم بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ويعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ﴾ (الأنعام:٥٩)، ولا متحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته.

العاشر ـ أنه سميع، بصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء.

فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع

المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته في جميع البريات، وعمت رحمته جميع المخلوقات، ووسع كرسيه الأرض والسموات.

الحادي عشر ـ أنه الشاهد الذي لا يغيب، ولا يستخلف أحدًا على تدبير ملكه، ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده، أو يعاونه عليها، أو يستعطفه عليهم، ويسترحمه لهم.

الثاني عشر ـ أنه الأبدي الباقي الذي لا يضمحل، ولا يتلاشى، ولا يعدم، ولا يموت.

الثالث عشر ـ أنه المتكلم، الآمر، الناهي، قائل الحق، وهادي السبيل، ومرسل الرسل، ومنزل الكتب، والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر، ومجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

الرابع عشر ـ أنه الصادق في وعده وخبره، فلا أصدق منه قيلا، ولا أصدق منه حديثا، وهو لا يخلف الميعاد.

الخامس عشر - أنه تعالى صمد بجميع الصمدية، فيستحيل عليه ما يناقض صمديته[1].

السادس عشر - أنه قدوس، سلام، فهو المبرأ من كل عيب، وآفة، ونقص.

السابع عشر - أنه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه.

الثامن عشر - أنه العدل الذي لا يجور، ولا يظلم، ولا يخاف عباده منه ظلمًا.

قال الإمام ابن القيم: فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه، ولا يخبر نبي بخلافه أصلاً، فترك المثلثة عبّاد الصليب هذا كله، وتمسكوا بالمتشابهة من المعاني، والمجمل من الألفاظ، وأقوال من: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

وأصول المثلثة ومقالتهم في رب العالمين تخالف هذا كله أشد المخالفة، وتباينه أعظم المباينة.

---

(١) **الصمد**: السيد، لأنه يُصمد إليه في الحوائج (أي: يُقصد).

عقيدة أمة محمد ﷺ في المسيح عليه السلام[1]

بعث الله محمداً ﷺ ، وبما أزال الشبهة في أمره، وكشف الغمة، وبرأ المسيح وأمه من افتراء اليهود وبهتهم، وكذبهم عليهما، وتنزه رب العالمين، وخالق المسيح وأمه، مما افتراه عليه المثلثة عباد الصليب، الذين سبوه أعظم السب قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وأنزل المسيح أخاه بالمنزلة التي أنزله الله بها، وهي أشرف منازله، فآمن به، وصدقه، وشهد له بأنه عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، الطاهرة، الصديقة، سيدة نساء العالمين، في زمانها، وقرر معجزات المسيح، وآياته، وأخبر عن ربه تعالى بتخليد من كفر بالمسيح في النار، وأن ربه تعالى

---

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» للإمام ابن القيم، (ص٣٠٥- ٣٠٧) ط مكتبة أولاد الشيخ

أكرم عبده ورسوله، ونزهه وصانه أن ينال إخوان القردة أمة الغضب منه، ما زعمته النصارى أنهم نالوا منه.

بل رفعه إليه مؤيدًا منصورًا، لم يشكّه أعداؤه بشوكة، ولا نالته أيديهم بأذى، فرفعه الله إليه، وأسكنه سماءه، وسيعيده إلى الأرض، ينتقم به من مسيح الضلال، وأتباعه، ثم يكسر به الصليب، ويقتل به الخنزير، ويُعلي به الإسلام، وينصر به ملة أخيه، وأولى الناس به محمد ﷺ.

فإذا وضع هذا القول في المسيح في كفة، وقول عباد الصليب والمثلثة في كفة، تبيّن لكل من له أدنى مسكة من عقل ما بينهما من التفاوت، وأن تفاوتهما كتفاوت ما بينه وبين قول المغضوب عليهم فيه، وبالله التوفيق.

فلولا محمد ﷺ لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذي هو رسول الله، وعبده، وكلمته، وروحه موجود أصلاً؛ فإن هذا المسيح الذي أثبته اليهود، من شرار

خلق الله، ليس بمسيح الهدى، والمسيح الذي أثبته النصارى من أبطل الباطل، لا يمكن وجوده في عقل، ولا فطرة، ويستحيل أن يدخل في الوجود أعظم استحالة.

ولو أمكن وجوده لبطلت أدلة العقول، ولم يبقَ لأحد ثقة بمعقول أصلاً؛ فإن استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات، ولو صحّ ما يقولون لبطل العالم، واضمحلت السماوات والأرض، وعدمت الملائكة، والعرش، والكرسي، ولم يكن بعث ولا نشور، ولا جنّة ولا نار.

ولا يستعجب من إطباق أمة الضلال، الذين شهد الله أنهم أضل من الأنعام على ذلك، فكل باطل في الوجود ينسب إلى أمة من الأمم فإنها مطبقة عليه، وقد تقدم ذكر إطباق الأمم العظمية، التي لا يحصيها إلاّ الله، على الكفر والضلال بعد معاينة الآيات البيّنات، فلعباد الصليب أسوة بإخوانهم من أهل الشرك والضلال.

فصل

في ذكر استنادهم في دينهم إلى أصحاب «المجامع» الذين كفَّر بعضهم بعضًا، وتلقيهم أصول دينهم عنهم، ونحن نذكر الأمر كيف ابتدأ، وتوسط، وانتهى، حتى كأنك تراه عيانًا.

كان الله سبحانه قد بشَّر بالمسيح على ألسنة أنبيائه من لدن موسى إلى زمن داود، ومن بعده من الأنبياء، وأكثر الأنبياء تبشيرًا به داود، وكانت اليهود تنتظره وتصدق به قبل مبعثه، فلما بُعث كفروا به بغيًا، وحسدًا، وشردوه في البلاد وطردوه، وحبسوه، وهمّوا بقتله مرارًا إلى أن أجمعوا على القبض عليه، وعلى قتله، فصانه الله، وأنقذه من أيديهم، ولم يهنه بأيديهم، وشبه لهم بأنهم صلبوه، ولم يصلبوه، كما قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦)

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ (النساء: ١٥٦- ١٥٨).

وقد اختلفوا في قوله ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٧)، فقيل: المعنى، ولكن شبه لهم للذين صلبوه، بأن ألقى شبهه على غيره، فصلبوا الشبه، وقيل: المعنى: ولكن شبه لهم للنصارى، أي جعلت لهم الشبهة في أمره، وليس لهم علم، بأنه ما قتل، وما صُلب.

ولكن لما قال أعداؤه: إنهم قتلوه، وصلبوه. واتفق رفعه من الأرض، وقعت الشبهة في أمرهم، وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم، وكيفما كان فالمسيح صلوات الله وسلامه عليه لم يُقتل، ولم يُصلب يقينًا لا شك فيه.

الظروف المحيطة بتدوين الإنجيل(١)

تفرق الحواريون في البلاد بعد رفعه على دينه، و منهاجه يدعون الأمم من بني إسرائيل إلى توحيد الله، ودينه، والإيمان بعبده ورسوله، ومسيحه، فدخل كثير من الناس في دينه، بين ظاهر ومستور؛ ظاهرٌ مشهور، ومختفٍ مستور، وأعداء الله اليهود - لعنهم الله - في غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه، ولقي تلاميذ المسيح، وأتباعه من اليهود، ومن الروم شدة شديدة من قتل، وعذاب وتشريد وحبس، وغير ذلك.

وكان اليهود في زمن المسيح في ذمة الروم الذين كانوا ملوكًا عليهم، وكتب نائب الملك ببيت المقدس إلى

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» للإمام ابن القيم. (ص٣٠٨ - ٣١٢) ط مكتبة أولاد الشيخ.

الملك يعلمه بأمر المسيح، وتلاميذه، وما يفعل من العجائب الكثيرة، من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، فهمّ أن يؤمن به، ويتبع دينه ، فلم يتابعه أصحابه، ثم هلك وولى بعده ملك آخر، فكان شديدًا على تلامذة المسيح، ثم مات وولي بعده آخر.

وفي زمنه كتب «متى» إنجيله بالعبرانية، وفي زمنه صار «مرقس» إلى الإسكندرية، فدعا إلى الإيمان بالمسيح، وهو أول شخص جعل بتركًا بالإسكندرية، وصيّر معه اثنى عشر قسيسًا على عدة نقباء بني إسرائيل في زمن موسى، وأمرهم إذا مات البترك أن يختاروا من الإثنى عشر واحدًا يجعلونه بتركًا مكانه، ويضع الاثنى عشر أيديهم على رأسه، ويبركونه.

ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيسًا يصيرونه تمام العدة، ولم يزل أمر القوم كذلك إلى زمن قسطنطين.

ثم انقطع هذا الرسم، فاصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أي بلد كان من أولئك القسيسين، ثم يسموه «بابا» ومعناه: أبو الآباء، وخرج «مرقس» إلى برقة يدعو الناس إلى دين المسيح.

ثم جاء ملكٌ آخر، فأهاج على أتباع المسيح الشر والبلاء، وأخذهم بأنواع العذاب، وفي عصره كتب «بطرس» رئيس الحواريين إنجيل مرقس عنه بالرومية، ونسبه إلى «مرقس».

وفي عصره كتب «لوقا» إنجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم، وكتب له الإفركسيس الذي فيه أخبار التلاميذ.

وفي زمنه صُلب «بطرس» وزعموا أن بطرس قال له: إن أردت أن تصلبني، فاصلبني منكسًا؛ لئلا أكون مثل سيدي المسيح، فإنه صُلِبَ قائمًا، وضرب عنق

«بولس» بالسيف، وأقام بعد صعود المسيح اثنتين وعشرين سنة.

وأقام مرقس بالإسكندرية، وبرقة سبع سنين يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح.

ثم قُتل بالإسكندرية، وأحرِق جسده بالنار، ثم استمرت القياصرة ملوك الروم على هذه السيرة إلى أن ملك مصر قيصر يُسمى «طيطس» فخرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها، وأصاب أهلها جوع عظيم، وقتل من كان بها من ذكر وأنثى، حتى كانوا يشقون بطون الحبالى، ويضربون بأطفالهن الصخور، وخرب المدينة، وأضرم فيها النار، وأحصى القتلى على يده، فبلغوا ثلاثة آلاف ألف.

ثم ملَكَ ملوك آخرون فكان منهم واحد شديد على اليهود جدًا، فبلغوه أن النصارى يقولون: أن المسيح

ملكهم، وأن ملكه يدوم إلى آخر الدهر، فاشتدّ غضبه، وأمر بقتل النصارى، وأن لا يبقى في ملكه نصراني، وكان «يوحنّا» صاحب الإنجيل هناك، فهرب، ثم أمر الملك بإكرامهم، وترك الاعتراض عليهم.

ثم ملك بعده آخر، فأثار على النصارى بلاء عظيمًا، وقتل بترك أنطاكية بروميـة، وقتل أسقف بيت المقدس، وصلبه، وله يومئذ مئة وعشرون سنة، وأمر باستعباد النصارى، فاشتد عليهم البلاء إلى أن رحمتهم الروم، وقال له وزراؤه: إنّ لهم دينًا وشريعة، وإنه لا يحل استعبادهم، فكفّ عنهم، وفي عصره كتب «يوحنا» إنجيله بالرومية، وفي ذلك العصر رجع اليهود إلى بيت المقدس، فلما كثروا، وامتلأت منهم المدينة عزموا على أن يملكوا منهم ملكًا، فبلغ الخبر قيصر، فوجه إليه جيشًا فقتل منهم من لا يحصى.

ثم ملك بعده آخر، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من النصارى خلقًا كثيرًا، ثم ملك بعده ابنه، وفي زمانه قتل اليهود قتلاً ذريعًا، وخرّب بيت المقدس، وهرب اليهود إلى مصر، وإلى الشام، والجبال، والأغوار، وتقطّعوا في الأرض.

وأمر الملك أن لا يسكن المدينة يهودي، وأن يقتل اليهود ويُستأصلوا، وأن يسكن المدينة اليونانيون، وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين، والنصارى في ذمة الروم تحت أيديهم، فرأوهم يأتون إلى مزبلة هناك فيصلون فيها، فمنعوهم من ذلك، وبنوا على المزبلة هيكلاً باسم «الزهرة»، فلم يمكن النصارى بعد ذلك قربان ذلك الموضع.

ثم هلك هذا الملك، وقام بعده آخر، فنصب يهوذا أسقفًا على بيت المقدس، قال ابن البطريق: فمن

يعقوب بيت المقدس الأول إلى يهودا أسقفه، هكذا كانت الأساقفة الذين على بيت المقدس كلهم مختونين.

ثم وليَ بعده آخر، فأثار على النصارى بلاءً شديدًا، وحربًا طويلاً، ووقع في أيامه قحطٌ شديد، كاد الناس أن يهلكوا، فسألوا النصارى أن يبتهلوا إلى إلههم فدعوا، وابتهلوا إلى الله، فمطروا، وارتفع عنهم القحط، والوباء.

قال ابن البطريق: وفي زمانه كتب بترك الإسكندرية إلى أسقف بيت المقدس، وبترك أنطاكية، وبترك رومية، في كتاب فصح النصارى وصومهم، وكيف يستخرج من فصح اليهود، فوضعوا فيها كتبًا على ما هي اليوم، قال: وذلك أن النصارى كانوا بعد صعود المسيح إذا عيدوا عيد الغطاس من الغد يصومون أربعين يومًا، ويُفطرون كما فعل المسيح؛ لأنه لما اعتمد بالأردن،

خرج إلى البرية فأقام بها صائمًا أربعين يومًا، وكان النصارى إذا أفصح اليهود، عيدوا هم الفصح، فوضع هؤلاء البتاركة حسابًا للفصح، ليكون فطرهم يوم الفصح، وكان المسيح يعبد مع اليهود في عيدهم، واستمر على ذلك أصحابه إلى أن ابتدعوا تغيير الصوم، فلم يصوموا عقيب الغطاس، بل نقلوا الصوم إلى وقت لا يكون عيدهم مع عيد اليهود.

ثم مات ذلك الملك، وقام بعده آخر، وفي زمنه كان «جالينوس» وفي زمنه ظهرت الفرس، و غلبت على بابل، و آمد، وفارس، وتملك أردشير بن بابك في إصطخر، وهو أول ملك، ملك على فارس في المدة الثانية.

ثم مات قيصر، وقام بعده آخر، ثم آخر، وكان شديداً على النصارى، عذّبهم عذابًا عظيمًا، وقتل خلقًا كثيرًا منهم، وقتل كل عالم فيهم، ثم قتل من كان

بمصر والإسكندرية من النصارى، وهدم الكنائس، وبنى بالإسكندرية هيكلاً، وسماه هيكل «الآلهة».

ثم قام بعده قيصر آخر، ثم آخر، وكانت النصارى في زمنه في هدوء وسلامة، وكانت تحت ذمة - أي تحت أيدي - الروم.

ثم قام بعده آخر، فأثار على النصارى بلاء عظيمًا، وقتل منهم خلقًا عظيمً، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من الأساقفة خلقًا كثيرًا منهم، وقتل كل عالم فيهم، وقتل بترك أنطاكية، فلما سمع بترك بيت المقدس بقتله هرب، وترك الكرسي.

ثم هلك،وقام بعده آخر ثم آخر، وفي أيام هذا ظهر «ماني» الكذاب، وزعم أنه نبي، وكان كثير الحِيَلِ والمخاريق، فأخذه بهرام ملك الفرس، فشقّه نصفين، وأخذ من أتباعه مائتي رجل، فغرس رؤوسهم في الطين منكسين حتى ماتوا.

ثم قام من بعده «فيلبس» فآمن بالمسيح، فوثب علي
بعض قواده، فقتلوه، ثم قام بعده «دانقيوس» ويُسمى:
(دقيانوس)، فلقي النصارى منه بلاءً عظيمًا، وقتل منهم
ما لا يُحصى، وقتل بترك رومية، وبنى هيكلاً عظيمًا،
وجعل فيه الأصنام، وأمر أن يُسجد لها، ويُذبح لها،
ومن لم يفعل قُتل، فقتل خلقًا كثيرًا من النصارى،
وصلبوا على الهيكل، واتخذ من أولاد عظماء المدين
سبعة غلمان، فجعلهم خاصته، وقدّمهم على جميع
من عنده، وكانوا لا يسجدون للأصنام، فأعلم الملك
بخبرهم، فحبسهم، ثم أطلقهم، وخرج إلى مخرج
له، فأخذ الفتية كل مالهم، فتصدقوا به، ثم خرجو
إلى جبل فيه كهف كبير، فاختفوا فيه، وصبّ عليهم
النعاس، فناموا كالأموات، وأمر الملك أن يُبنى عليهم
باب الكهف كي يموتوا، فأخذ قائد من قواده صفيحة

من نحاس، فكتب فيها أسماءهم، وقصتهم مع دقيانوس، وصيّرها في صندوق من نحاس، ودفنه داخل الكهف وسدّه، ثم مات الملك.

ثم قام بعده قيصر آخر، وفي زمنه جعل في أنطاكية بتركًا مسمى «بولس الشمشاطي» وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت، وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة، أنه عبدٌ، رسولٌ، مخلوقٌ، ومربوب، لا يختلف فيه اثنان منهم، فقال بولس هذا - وهو أول من أفسد النصارى وأفسد دينهم - : إن سيدنا عيسى خلق من اللاهوت إنسانًا كواحدٍ منّا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصًا للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية، فحلت فيه بالمحبة والمشيئة؛ ولذلك سمي ابن الله، وقال: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد.

فروع وشرائع دين النصارى مخالفة لما جاء به المسيح عليه السلام(١)

هذا أصل دينهم وأساسه الذي قام عليه، وأما فروعه وشرائعه فهم مخالفون للمسيح في جميعها، وأكثر ذلك بشهادتهم، وإقرارهم ولكن يحيلون على البتاركة والأساقفة فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة، ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الحائض.

وطوائف النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب، وأن الإنسان يقوم من على بطن المرأة، ويبول، ويتغوط، ولا يمس ماء، ولا يستجمر، والبول والنجو ينحدر على ساقه وفخذه، ويصلي كذلك، وصلاته صحيحة تامة، ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» للإمام ابن القيم (ص ٢٥٧ - ٢٥٩) ط مكتبة أولاد الشيخ

فضلاً عن أن يفسو أو يضرط، ويقولون: إن الصلاة بالبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة؛ لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين واليهود، وأقرب إلى مخالفة الأمتين.

ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه، وهذه الصلاة رب العالمين بريء منها، وكذلك المسيح وسائر النبيين؛ فإنّ هذه بالاستهزاء أشبه منها بالعبادة، وحاشا المسيح أن تكون هذه صلاته، أو صلاة أحد من الحواريين، والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كان الأنبياء وبنو إسرائيل يقرؤونه في صلاتهم من التوراة والزبور، وطوائف النصارى إنما يقرؤن في صلاتهم كلامًا قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، ويجري مجرى النوح والأغاني.

فيقولون: هذا قداس فلان، وهذا قداس فلان، وينسبونه إلى الذين وضعوه وهم يصلون إلى الشرق، وما صلى المسيح إلى الشرق قط، وما صلى إلى أن

توفاه الله إلاَّ إلى بيت المقدس، وهي قبلة داود والأنبياء قبله، وقبلة بني إسرائيل.

والمسيح اختتن، وأوجب الختان، كما أوجبه موسى، وهارون، والأنبياء قبل المسيح.

والمسيح حرّم الخنزير، ولعن آكله، وبالغ في ذمه؛ - والنصارى تُقرُّ بذلك - ولقي الله ولم يطعم من لحمه وزن شعيرة؛ والنصارى تتقرب إليه بأكله.

والمسيح ما شرع لهم هذا الصوم الذي يصومونه قط، ولا صامه في عمره مرة واحدة، ولا أحد من أصحابه، ولا صام صوم العذارى في عمره، ولاأكل في الصوم ما يأكولنه، ولا حرم فيه ما يُحرمونه ولا عطل السبت يومًا واحدًا حتى لقي الله، ولا اتخذ الأحد عيدًا قط، والنصارى تُقِرُّ أنه رقى مريم المجدلانية، فأخرج منها سبعة شياطين، وأن الشياطين قالت له: أين ناوي؟، فقال لها: «اسلكي هذه الدابة

النجسة» يعني الخنزير، فهذه حكاية النصارى عنه، وهم يزعمون أن الخنزير من أطهر الدواب وأجملها وأطيبها، والمسيح سار في الذبائح، والمناكح، والطلاق، والمواريث، والحدود، سيرة الأنبياء قبله.

وليس عند النصارى على من زنا أو لاط، أو سكر حدًا في الدنيا أبدًا، ولا عذاب في الآخرة؛ لأن القس والراهب يغفره لهم، فكلما أذنب أحدهم ذنبًا أهدى للقسِّ هدية، أو أعطاه دراهمًا، أو غيرها؛ ليُغفر لهم!.

وإذا زنت امرأة أحدهم بيّتها عند القس ليطيبها له، فإذا انصرفت من عنده، وأخبرت زوجها أن القس طيبها قَبِلَ ذلك منها وتبرك به!.

وهم يُقرون أن المسيح قال: «إنما جئتكم لأعمل بالتوراة، وبوصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضًا، بل متممًا، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئًا من شريعة موسى، ومن نقض شيئًا من

ذلك يدعى ناقضًا في ملكوت السماء»، ومازال هو وأصحابه كذلك إلى أن خرج من الدنيا، وقال لأصحابه: «اعملوا بما رأيتموني أعمل، وارضوا من الناس بما أرضيتكم به، ووصوا الناس بما وصيتكم به، وكونوا معهم كما كنت معكم، وكونوا لهم كما كنت لكم»، ومازال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريبًا من ثلاثمائة سنة.

ثم أخذ القوم في التغيير، والتبديل، والتقرب إلى الناس، بما يهوون، ومكايدة اليهود، ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح، والانسلاخ منه جملة، فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح: أنه ساحر، ممخرق، ولد زنية، فقالوا: هو إله تام، وهو ابن الله!!.

ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان، ورأوهم يُبالغون في الطهارة، فتركوها جملة، ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض، وملامستها، ومخالطتها جملة، فجامعوها،

ورأوهم يحرمون الخنزير، فأباحوه وجعلوه شعار دينهم، ورأوهم يحرمون كثيرًا من الذبائح والحيوان، فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة، وقالوا: كل ما شئت، ودع ما شئت، لا حرج!!.

ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة، فاستقبلوا هم الشرق، ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها، فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاؤا، ويحللوا ما شاؤا، ويحرموا ما شاؤا، ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه، فحرموا هم الأحد، وأحلوا السبت، مع إقرارهم بأن المسيح كان يُعظم السبت ويحفظه!!.

ورأوهم ينفرون من الصليب، فإن في التوراة «ملعون من تعلق بالصليب» والنصارى تقرّ بهذا، فعبدوا هم الصليب، كما أن في التوراة تحريم الخنزير نصًا، فتعبدوا هم بأكله، وفيها الأمر بالختان، فتعبدوا

هم بتركه، مع إقرار النصارى أن المسيح قال لأصحابه: «إنما جئتكم لأعمل بالتوراة، ووصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضًا بل متممًا، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئًا من شريعة موسى» فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود، ومغايظتهم، وانضاف إلى هذا السبب ما في كتابهم المعروف عندهم «بافر كسيس» أن قومًا من النصارى خرجوا من بيت المقدس، وأتوا أنطاكية، وغيرها من الشام، فدعوا الناس إلى دين المسيح الصحيح، فدعوهم إلى العلم بالتوراة، وتحريم ذبائح من ليس أهلها، وإلى الختان، وإقامة السبت، وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرمته التوراة، فشقّ ذلك على الأمم واستثقلوه.

نشأة المجامع النصرانية ودورها في تحريف دين المسيح[1]

جتمع النصارى ببيت المقدس، وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم؛ ليجيبوهم إلى دين المسيح ويدخلوا فيه.

فاتفق رأيهم على مداخلة الأمم، والترخيص لهم، والاختلاط بهم، وأكل ذبائحهم، والانحطاط في أهوائهم، والتخلق بأخلاقهم، وإنشاء شريعة تكون بين شريعة الإنجيل وما عليه الأمم، وأنشأوا في ذلك كتابًا، فهذا أحد مجامعهم الكبار.

وكانوا كلما أرادوا إحداث شيء، اجتمعوا

---

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» للإمام ابن القيم. (ص٢٦٠-٢٦٣) ط مكتبة أولاد الشيخ.

مجمعًا، وافترقوا فيه عما يريدون إحداثه إلى أن اجتمعوا المجمع الذي لم يجتمع لهم أكبر منه في زمن قسطنطين الرومي ابن هيلانة الحرانية الفندقية، وفي زمنه بدل دين المسيح، وهو الذي شاد دين النصرانية المبتدع، وقام به وقعد.

وكان عندهم زهاء ألفي رجل، فقرروا تقريراً، ثم رفضوه ولم يرتضوه، ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم - والنصارى يسمونهم: الآباء - فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم، لا تتم لأحد منهم نصرانية إلاّ به، ويسمونه: «سنهودس» وهي «الأمانة»!.

ولفظها: «نؤمن بالله الأب الواحد، خالق ما يرى وما لا يُرى، وبالرب الواحد اليسوع المسيح ابن الله بكر أبيه، وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا

معاشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد مر
روح القدس، ومن مريم البتول، وحبلت به مريم البتول
وولدته، وأخذ وصُلِبَ، وقتل أيام بيلاطس الرومي.

ومات ودُفن، وقام في اليوم الثالث كما هـ
مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهـ
مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات
والأحياء، ونؤمن بالرب الواحد، روح القدس روح
الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته، وبمعمودية
واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية سليحية
جاثليقية، وبقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد
الآبدين».

فصرحوا فيها بأن المسيح رب، وأنه ابن الله وأنه
بِكْرُه، ليس له ولد غيره، وأنه ليس بمصنوع: أي ليس
بعبد مخلوق، بل هو ربٌّ خالق، وإنه إله حق، استـ
وولد ومن إله حق، وأنه مساوٍ لأبيه في الجوهر، وأ

بيده أتقنت العوالم، وهذه اليد التي أتقنت بها العوالم عندهم وهي التي ذاقت حرّ المسامير، كما صرحوا به في كتبهم، وهذه ألفاظهم: قالوا: «وقد قال القدوة عندنا: إن اليد التي سمرها اليهود في الخشبة هي اليد التي عجنت طين آدم وخلقته، وهي اليد التي شبرت السماء، وهي اليد التي كتبت التوراة لموسى».

قالوا: وقد وصفوا صنيع اليهود به، وهذه ألفاظهم: «وأنهم لطموا الإله وضربوه على رأسه»!.

قالوا: «وفي بشارة الأنبياء به أن الإله تحبل به امرأة عذراء، وتلده، ويؤخذ ويُصلب، ويُقتل»!.

قالوا: «وأما «سنهودس» دون الأنام، قد اجتمع عليه سبعمائة من الآباء وهو القدوة، وفيه: «أن مريم حبلت بالإله، وولدته، وأرضعته، وسقته، وأطعمته».

قالوا: «وعندنا أن المسيح ابن آدم، وهو ربه، وخالقه، ورازقه، وابن إبراهيم، وربه، وخالقه،

ورازقه، وابن إسرائيل، وربه، وخالقه، ورازقه، وابن مريم وربها، وخالقها، ورازقها».

قالوا: وقد قال علماؤنا ومن هو القدوة عند جميع طوائفنا: «يسوع في البدء ولم يزل كلمة، والكلمة لم تزل الله، والله هو الكلمة»، فذاك الذي ولدته مريم، وعاينه الناس، وكان بينهم هو الله، وهو ابن الله، وهو كلمة الله، هذه ألفاظهم، قالوا: «فالقديم الأزلي خالق السماوات والأرض، هو الذي عاينه الناس بأبصارهم، ولمسوه بأيديهم، وهو الذي حبلت به مريم، وخاطب الناس من بطنها، حيث قال للأعمى: أنت مؤمن بالله، قال الأعمى: ومن هو حتى أومن به؟ قال: هو المخاطب لك، فقال: آمنت بك، وخرّ ساجدًا».

قالوا: «فالذي حبلت به مريم هو الله، وابن الله، وكلمة الله» ، وقالوا: «وهو الذي وُلد، ورضع، وفطم، وأخذ، وصُلب، وصُفع، وكتفت يداه، وسمر، وبُصق

في وجهه، ومات، ودُفن، وذاق ألم الصلب والتسمير، والقتل؛ لأجل خلاص النصارى من خطاياهم».

قالوا: «وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبيّ ولا عبد صالح، بل هو رب الأنبياء وخالقهم، وباعثهم، ومرسلهم، وناصرهم، ومؤيدهم، ورب الملائكة». قالوا: «وليس مع أمه بمعنى الخلق، والتدبير، واللطف، والمعونة، فإنه لا يكون لها بذلك مزية على سائر الإناث، ولا الحيوانات، ولكنه معها بحبلها به واحتواء بطنها عليها؛ فلهذا فارقت إناث جميع الحيوانات، وفارق ابنها جميع الخلق، فصار الله وابنه الذي نزل من السماء، وحبلت به مريم، وولدته إلهًا واحدًا، وربًا واحدًا، وخالقًا واحدًا، لا يقع بينهما فرق، ولا يبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه، لا في حبل ولا في ولادة، ولا في حال نوم، ولا مرض، ولا صلب، ولا موت، ولا دُفن.

بل هو متحد به في حال الحبل، فهو في تلك الحال مسيح واحد، وخالق واحد، وإله واحد، ورب واحد، وفي حال الولادة كذلك، وفي حال الصلب والموت كذلك».

قالوا: «فمنا من يُطلق في لفظه، وعبارته حقيقة هذا المعنى، فيقول: مريم حبلت بالإله، وولدت الإله، ومات الإله، ومنّا من يمتنع من هذه العبارة لبشاعة لفظها، ويعطي معناها وحقيقتها، ويقول: مريم حبلت بالمسيح في الحقيقة، وولدت المسيح في الحقيقة، وهي أم المسيح في الحقيقة، والمسيح إله في الحقيقة، وربّ في الحقيقة، وابن الله في الحقيقة، وكلمة الله في الحقيقة، لا ابن لله في الحقيقة سواه، ولا أب للمسيح في الحقيقة إلاّ هو».

قالوا: «فهؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال: حبلت بالإله، وولدت الإله، وقتل الإله، وصُلب الإله، ومات ودُفن، وإن منعوا اللفظ والعبارة».

قالوا: «وإنما منعنا هذه العبارة التي أطلقها إخواننا؛ لئلاّ يتوهم علينا إذا قلنا: حبلت بالإله، وولدت الإله، وأم الإله، ومات الإله، أن هذا كله حلّ ونزل بالإله الذي هو أب، ولكنا نقول: حل هذا كله، ونزل بالمسيح، والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام، من جوهر أبيه، فنحن وإخواننا في الحقيقة شيء واحد لا فرق بيننا إلاّ في العبارة فقط».

قالوا: «فهذا حقيقة ديننا وإيماننا، والآباء والقدوة قد قالوه قبلنا، وسنّوه لنا، ومهدوه، وهم أعلم بالمسيح منّا».

ولا يختلف النصارى من أولهم إلى آخرهم أن المسيح ليس بنبيّ، ولا عبد صالح، ولكنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وأنه إله تام من إله تام، وأنه خالق السموات والأرضين، والأولين والآخرين ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، وباعثهم من القبور وحاشرهم، ومحاسبهم ومثيبهم ومعاقبهم، والنصارى

تعتقد أن الأب انخلع من ملكه كله وجعله لابنه فهو الذي يخلق، ويرزق، ويُميت، ويُحيي، ويُدبر أمر السماوات والأرض، ألا تراهم يقولون في أمانتهم: «ابن الله، وبكر أبيه، وليس بمصنوع - إلى قولهم - بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء - إلى قولهم - وهو مستعد للمجيء تارة أخرى لفصل القضاء بين الأموات والأحياء».

ويقولون في صلواتهم ومناجاتهم: «أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا، وتُميتنا، وترزقنا،وتخلق أولادنا،وتُقيم أجسادنا، وتبعثنا، وتُجازينا»!!.

أمة اليهود فرقهم وتحريفاتهم

هذه «الأمة الغضبية»، وإن كانوا مفترقين افتراقًا كثيرًا، فيجمعهم فرقتان:

«القرَّاؤون، والربانيون»، وكان لهم أسلاف فقهاء، وهم صنَّفُوا لهم كتابين:

أحدهما - يسمى: «المشنا» ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة.

والثاني - يُسمى: «التلمود» ومبلغه قريب من نصف حمل بغل، ولم يكن المؤلفون له في عصر واحد، وإنما ألفوه جيلاً بعد جيل.

فلما نظر متأخروهم إلى ذلك، وأنه كلما مرَّ عليه الزمان زادوا فيه، وفي الزيادات المتأخرة ما ينقض كثيرًا

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص ٢٤٤ ٢٥٣) لابن القيم، ط مكتبة أولاد الشيخ

من أوله علموا أنهم إن لم يقفلوا باب الزيادة، وإلاَّ أدى إلى الخلل الفاحش، فقطعوا الزيادة، وحظروها على فقهائهم، وحرموا من يزيد عليه شيئًا فوقف الكتاب على ذلك المقدار.

وكان فقهاؤهم قد حرموا عليهم في هذين الكتابين مؤاكلة من كان على غير ملتهم، وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبائح من لم يكن على دينهم؛ لأنهم علموا أن دينهم لا يبقى عليهم مع كونهم تحت الذل والعبودية، وقهر الأمم لهم، إلاَّ أن يصدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم، وحرموا عليهم مناكحتهم، والأكل من ذبائحهم، ولم يمكنهم ذلك إلاَّ بحجة يبتدعونها من أنفسهم، ويكذبون فيها على الله.

فإن التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم؛ لئلاَّ يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر بالله، وإنما حرمت عليهم أكل ذبائح الأمم التي يذبحونها قربانًا للأصنام؛ لأنه سمي عليها غير الله.

فأما ما ذكر عليه اسم الله، وذُبح لله، فلم تنطق التوراة بتحريمه البتة، بل نطقت بإباحة أكلهم من أيدي غيرهم من الأمم، وموسى إنما نهاهم عن مناكحة عباد الأصنام خاصة، وأكل ما يذبحونه باسم الأصنام، قالوا: التوراة حرمت علينا أكل الطريفا، قيل لهم: الطريفا هي: الفريسة التي يفترسها الأسد، أو الذئب، أو غيرهما من السباع، كما قال في التوراة: «ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا وللكلب ألقوه»، فلما نظر فقهاؤهم إلى أنَّ التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الأمم عليهم إلا عباد الأصنام، وصرحت التوراة بأن تحريم مؤاكلتهم، ومخالطتهم خوف استدراج المخالطة إلى المناكحة، والمناكحة قد تستتبع الانتقال إلى أديانهم، وموافقتهم في عبادة الأوثان، ووجدوا جميع هذا واضحًا في التوراة، اختلقوا كتابًا سموه «هلكت شحيطا»، وتفسيره علم الذباحة.

ووضعـوا في هذا الكتاب من الآصار والأغـلال ما شغلـوهم به عمـا هم فيه مـن الذل والصَّغَـار والخزي فـأمـروهم فـيـه أن ينفـخـوا الرئة حـتـى يملؤها هواء ويتأملوها، هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا؟، فإن خرج منها الهواء حرموه، وإن كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه.

وأمروا الذي يتـفقد الذبيـحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة، ويتأمل بأصابعه، فإن وجد القلب ملتصقًا إلى الظهر، أو أحد الجانبين، ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كـالشعـرة، حرمـوه، ولم يأكلوه، وسـموه: «طريفًـا» ومـعنى هذه اللفظـة عندهم: أنه نجس حـرام، وهذه التسمية عدوان منهم؛ فإن معناها في لغتهم هي: الفريسة التي يفترسها السبع، ليس لها معنى في لغتهم سواه.

ولذلك عندهم في التوراة: أن إخوة يوسف لما جاؤا بقمـيصـه ملطخًا بالـدم قال يعقـوب في جملـة كلام:

«طاروف يطراف يوسف» تفسيره: «وحش رديء أكله افتراسًا، افترس يوسف»، وفي التوراة: «ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوه» فهذا الذي حرمته التوراة من الطريفا، وهذا نزل عليهم وهم في التيه، وقد اشتدَّ قرمهم إلى اللحم، فمنعوا من أكل الفريسة والميتة.

ثم اختلفوا في خرافات وهذيانات تتعلق بالرئة، وقالوا: ما كان من الذبائح سليمًا من هذه الشروط، فهو «دخيا» وتفسيره: طاهر مذكى، وما كان خارجًا عن ذلك فهو «طريفا» وتفسيره: نجس حرام.

ثم قالوا: معنى قوله في التوراة: «ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوه، للكلب ألقوه». يعني: إذا ذبحتم ذبيحة، ولم توجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها، بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم، قالوا: ومعنى قوله: «للكلب ألقوه» أي: لمن ليس على ملتكم فهو الكلب فأطعموه إياه بالثمن.

فتأمل هذا التحريف، والكذب على الله، وعلى التوراة، وعلى موسى، ولذلك كذبهم الله على لسان رسوله في تحريم ذلك، فقال في السورة المدنية التي خاطب فيها أهل الكتاب: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥)﴾

(النحل: ١١٤، ١١٥).

وقال في سورة الأنعام: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)﴾ (الأنعام: ١٤٥، ١٤٦) (بعظم)

فهذا تحريم زائد على تحريم الأربعة المتقدمة.

وقال في سورة النحل، وهي بعد هذه السورة نزولاً: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ (النحل: ١١٨)، فهذا المحرم عليهم بنص التوراة ونص القرآن.

فلما نظر «القرّاؤون» منهم وهم أصحاب عانان، وبنيامين إلى هذه المحالات الشنيعة، والافتراء الفاحش، والكذب البارد على الله، وعلى التوراة، وعلى موسى، وأن أصحاب «التلمود والمشنا» كذابون على الله، وعلى التوراة، وعلى موسى، وأنهم أصحاب حماقات ورقاعات، وأن أتباعهم ومشايخهم يزعمون أن الفقهاء منهم كانوا إذا اختلفوا في مسألة من هذه المسائل وغيرها يوحي الله إليهم بصوت يسمعونه «الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان»، ويسمون هذا الصوت «بث قول».

فلما نظر «القراؤون» إلى هذا الكذب المحال، قالوا: قد فسق هؤلاء، ولا يجوز قبول خبر فاسق، ولا فتواه،



فخالفوهم في سائر ما أصلوه من الأمور التي لم ينطق بها نص التوراة.

وأما تلك الترهات التي ألفها فقهاؤهم الذي يسمونهم «الحخاميم» في علم الذباحة، ورتبوها، ونسبوها إلى الله فأطرحها القراؤون كلها وألغوها، وصاروا لا يحرمون شيئًا من الذبائح التي يتولون ذبحها البتة، ولهم فقهاء أصحاب تصانيف، إلاَّ أنهم لا يبلغون في الكذب على الله، وهم أصحاب ظواهر مجردة، والأولون أصحاب استنباط وقياسات.

والفرقة الثانية يقال لهم: «الربانيون» وهم أكثر عددًا، وفيهم الحخاميم الكذابون على الله الذين يزعمون أن الله كان يُخاطب جميعهم في كل مسألة بالصوت والحرف الذي يسمونه: «بث قول».

وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم، فإن الحخاميم أوهموهم بأن الذبائح لا يحل منه إلاَّ ما

كان على الشروط التي ذكروها، وأن سائر الأمم لا تعرف هذا، وأنه شيء خُصُّوا به ومُيِّزوا به عمن سواهم، وأن الله شرّفهم به كرامة لهم، فصار الواحد منهم ينظر إلى من ليس على نحلته كما ينظر إلى الدابة، وينظرإلى ذبائحه كما ينظر إلى الميتة.

وأما «القراؤون» فأكثرهم خرجوا إلى دين الإسلام، ونفعهم تمسكهم بالظواهر، وعدم تحريفها إلى أن لم يبقَ منهم إلاّ القليل؛ لأنهم أقرب استعدادًا لقبول الإسلام لأمرين:

أحدهما - إساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله، وطعنهم عليهم.

الثاني - تمسكهم بالظواهر، وعدم تحريفها، وإبطال معانيها.

وأما أولئك «الربانيون» فإن فقهاءهم وحخاميمهم حصروا في مثل سم الخياط، بما وضعوا لهم من التشديدات والأغلال والآصار، المضافة إلى الأغلال،

والآصار التي شـرعهـا الله عقوبة لهم، وكـان لهم في ذلك مقاصد:

منهـا: أنهم قصـدوا بذلك مـبالغـتـهم في مضـادة مذاهب الأمم، حتى لا يختلطوا بهم، فيؤدي اختلاطهم بهم إلى موافقتهم، والخروج من السبت واليهودية.

القصد الثاني: أن اليـهود مبددون في شرق الأرض وغربها وجنوبها وشمـالها، كما قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ (الأعراف: ١٦٨).

وما من جـماعـة منهم في بلدة إلاّ إذا قدم علـيهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة، يظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في الاحتياط، فإن من كان من فقهائهم شـرع في إنكـار أشـيـاء علـيــهم يوهمـهم قلـة دينهم وعملهـم، وكلما شدد علـيهم قالوا: هذا هـو العالم، فأعلمـهم أعظمهم تشـديدًا عليهم، فتـراه أول ما ينزل عليهم لا يأكل من أطعمتـهم وذبائحهم، ويتأمل سكين

الذابح، ويشرع في الإنكار عليه ببعض أمره، ويقول: لا آكل إلاَّ من ذبيحة يدي، فتراهم معه في عذاب، ويقولون: هذا عالم غريب قدم علينا، فلا يزال يُنكر عليهم الحلال، ويشدد عليهم الآصار والأغلال، ويفتح لهم أبواب المكر، والاحتيال، وكلما فعل لهم هذا، قالوا: هذا العالم الرباني، والحاخام الفاضل، فإذا رآه رئيسهم قد مشى حاله، وقبل بينهم مقاله، وزن نفسه معه، فإذا رأى أنه ازدرى به، وطعن عليه لم يقبل منه، فإن الناس في الغالب يميلون مع الغريب، وينسبه أصحابه إلى الجهل وقلة الدين، ولا يصدقونه؛ لأنهم يرون القادم قد شدد عليهم وضيّق.

وكلما كان الرجل أعظم تشديدًا وتضييقًا، كان أفقه عندهم، فينصرف عن هذا الرأي، فيأخذ في مدحه وشكره، فيقول: لقد عظم ثواب فلان إذْ قوّى ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة، وشيّد أساسه، وأحكم

سياج الشرع، فيبلغ القادم قوله، فيقول: هذا ما عندكم أفقه منه، ولا أعلم منه، وإذا لقيه يقول: لقد زين الله بك أهل بلدنا، ونعش بك هذه الطائفة!!.

•

وإن كان القادم عليهم حبرًا من أحبارهم، فهناك ترى العجب العجيب من الناموس الذي يعتمده، والسنن التي يحدثها، ولا يعترض عليه أحد، بل تراهم مسلمين له، وهو يحتلب درهم، ويجتلب درهمهم.

وإذا بلغه عن يهودي طعن عليه، صبر عليه حتى يرى منه جلوسًا على قارعة الطريق يوم السبت، أو يبلغه أنه اشترى من مسلم لبنًا، أو خمرًا، أو خرج عن بعض أحكام «المشنا والتلمود»، فحرمه بين ملأ اليهود، وأباحهم عرضه، ونسبه إلى الخروج عن اليهودية، فيضيق به البلد على هذه الحال، فلا يسعه إلاَّ أن يصلح ما بينه وبين الحبر بما يقتضيه الحال، فيقول لليهود: إن فلانًا قد أبصر رشده، وراجع الحق، وأقلع عما كان

فـيه، وهو اليـوم يهـودي على الوضع، فـيعـودون له بالتعظيم والإكرام!!.

وأذكر لـك مسألة مـن مـسائـل شرعهم المبدل، أو المنسوخ، تعـرف بمسألة «البـيامـا والجالوس»، وهي أن عندهـم في التـوراة: إذا أقـام أخَـوان في مـوضع واحد، ومـات أحدهمـا، ولم يعقب، فـلا تصيـر امرأة الميت إلى رجل أجنبيّ بل حـموها ينكحـها، وأول ولد يولد لها يُنسب إلى أخيه الدراج.

فإنْ أبَى أن ينكحهـا، خرجت متشكية إلى مشـيخة قومه، قائلة: قد أبى حمُوي أن يستبقي اسمًا لأخيه في بني إسرائـيل، ولم يرد نكاحي، فيـحضره ويكـلفه أن يقف، ويقـول: ما أردت نكاحهـا، فتـتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله، وتمسكـه بيدها، وتبصق في وجهه، وتُنادي عليه: كذا فليصنع بالذي لا يبني بيت أخيه.

ويُدعى فـيـمـا بعـد: بمخلوع النعل، وينبـذ بهـذا

اللقب، وفي هذا كالتلجئة له إلى نكاحها؛ لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة وعليه ذلك، فربما استحيا، وخجل من شيل نعله من رجله، والبصاق في وجهه، ونبزه باللقب المستكره الذي يبقى عليه وعلى أولاده عاره، ولم يجد بدًا من نكاحها.

فإن كان من الزهد فيها والكراهة لها، بحيث يرى أن هذا كله أسهل عليه من أن يُبتلى بها، وهان عليه ذلك كله، في التخلص منها لم يكره على نكاحها، هذا عندهم في التوراة.

ونشأ لهم من ذلك، فرع مرتب عليه وهو: أن يكون مريدًا للمرأة، محبًا لها، وهي في غاية الكراهة له، فأحدثوا لهذا الفرع حكمًا في غاية الظلم والفضيحة، فإذا جاءت إلى الحاكم أحضروه معها، ولقنوها أن تقول: إن حموي لا يقيم لأخيه اسمًا في بني إسرائيل، ولم يُرد نكاحي - وهو عاشق لها -، فيلزمونها

بالكذب عليه، وأنهـا أرادته فامتنع - فـإذا قالتْ ذلك، ألزمـه الحاكم أن يـقوم ويقـول: مـا أردت نكاحهـا - ونكاحها غاية سؤله، وأمنيته -فيأمرونه بالكذب عليها- فـيـخـــرج نعله من رجله إلاّ أنه لا مَـسْكٌ هنا، ولا ضَرْب، بل يبصق في وجهـه، ويُنادي عليه: هذا جزاء من لا يبني بيت أخيه.

فلم يكفهم أن كذبوا عليه حتى أقـاموه مقام الخزي، وألزموه بالكذب، والبـصاق في وجهه، والعـتاب على ذنب جره غيره، كما قيل:

وجُرم جَرَّه سفهاء قومٍ وحل بغير جَارمه العذاب

أفلا يستحي من تعيير المسلمين من هذا شرعه ودينه؟!.

ولا يستبعد اصطلاح الأمة الـغضبيـة على المحال، واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال.

فإن الدولة إذا انقـرضـت على أمة باسـتيلاء غـيره عليـهـا، وأخـذ بلادها وانـطمـست حـقـائق سـالف

أخبارها، ودرست معالم دينها، وآثارها، وتعذر الوقوف على الصواب الذي كان عليه أولوها وأسلافها؛ لأن زوال الدولة عن الأمة إنما يكون بتتابع الغارات، وخراب البلاد، وإحراقها، وجلاء أهلها عنها، فلا تزال هذه البلايا متتابعة عليها، إلى أن تستحيل رسوم ديانتها، وتضمحل أصول شرعها، وتتلاشى قواعد دينها.

وكلما كانت الأمة أقدم، واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالإذلال والصغار، كان حظها من اندراس دينها أوفر، وهذه الأمة الغضبية أوفر الأمم حظًا من ذلك، فإنها أقدم الأمم عهدًا، واستولت عليها سائر الأمم من الكلدانيين، والبابليين، والفرس، واليونان، والنصارى، وما من هذه الأمم أمة إلا وقصدت استئصالهم، وإحراق كتبهم، وتخريب بلادهم، حتى لم يبقَ لهم مدينة، ولا جيش، ولا حصن، إلا بأرض الحجاز وخيبر، فأعزّ ما كانوا هناك.

فلما قام الإسلام، واستعلن الرب تعالى من جبال فاران صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى، وصادف هذه الشرذمة بخيبر والمدينة، فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل، والسبي، وتخريب الديار، ذنوبًا مثل ذنوب أصحابهم.

وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء، فكتب الله عليهم الجلاء، وشتتهم ومزقهم بالإسلام كل ممزق، ومع هذا فلم يكونوا مع أمة من الأمم أطيب منهم مع المسلمين، ولا آمن، فإن الذي نالهم من النصارى، والفرس، وعباد الأصنام، لم ينلهم من المسلمين مثله.

وكذلك الذي نالهم مع ملوكهم العصاة الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا في طلبهم، وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها وتعظيم رسومها في العبادة، وبنوا لها البيع والهياكل، وعكفوا على عبادتها، وتركوا لها أحكام التوراة، وشرع موسى أزمنة طويلة، وأعصارًا متصلة.

فإذا كان هذا شأنهم مع ملوكهم، فما الظن بشأنهم مع أعدائهم أشد الأعداء عليهم، كالنصارى الذين عندهم أنهم قتلوا المسيح، وصلبوه، وصفعوه، وبصقوا في وجهه، ووضعوا الشوك على رأسه، وكالفرس، والكلدانيين وغيرهم.

وكثيرًا ما منعهم ملوك الفرس من الختان، وجعلوهم قلفًا، وكثيرًا ما منعوهم من الصلاة؛ لمعرفتهم بأن معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار، وعلى بلادهم بالخراب، إلا أرض كنعان، فلما رأوا أن صلاتهم هكذا، منعوهم من الصلاة.

فرأت اليهود أن الفرس قد جدّوا في منعهم من الصلاة، فاخترعوا أدعية مزجوا بها صلاتهم، سموها «الخزانة» وصاغوا لها ألحانًا عديدة، وصاروا يجتمعون على تلحينها، وتلاوتها، والفرق بين الخزانة والصلاة، أن الصلاة بغير لحن، ويكون المصلي فيها وحده، والخزانة بلحن يشاركه غيره فيه.

فكانت الفرس إذا أنكروا ذلك عليهم، قالت اليهود: نحن نغني، وننوح على أنفسنا، فيخلون بينهم وبين ذلك، فجاءت دولة الإسلام، فأمنوا فيها غاية الأمن، وتمكنوا من صلاتهم في كنائسهم، واستمرت الخزانة سنّة فيهم في الأعياد، والمواسم، والأفراح، وتعوضوا بها عن الصلاة.

والعجب أنهم مع ذهاب دولتهم، وتفرّق شملهم، وعلمهم بالغضب الممدود المستمر عليهم، ومسخ أسلافهم قردة، لقتلهم الأنبياء وعدوانهم في السبت، وخروجهم عن شريعة موسى والتوراة، وتعطيلهم لأحكامها، يقولون في كل يوم في صلاتهم: «محبه الدهر» أحبنا، يا إلهنا!، يا أبانا!، أنت أبونا مقدنا!، ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب، وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكَرْم لحفظه، وأنهم سيقيم الله لهم نبيًا من آل داود إذا حرك شفتيه بالدعاء، مات جميع الأمم، ولا

يبقى على وجه الأرض إلاّ اليهود، وهو بزعمهم المسيح الذي وعدوا به، وينبهون الله بزعمهم من رقدته في صلاتهم، وينخونه، ويحمونه، تعالى الله عن إفكهم وضلالهم علوا كبيراً، وضلال هذه أمة اليهود، وكذبها، وافترائها على الله، ودينه، وأنبيائه، لا مزيد عليه.

وأما أكلهم الربا، والسحت، والرشا، واستبدادهم دون العالم بالخبث، والمكر، والبهت، وشدة الحرص على الدنيا، وقسوة القلوب، والذل والصغار، والخزي، والتحيل على الأغراض الفاسدة، ورمي البُرءاء بالعيوب، والطعن على الأنبياء، فأرخص شيء عندهم، وما عيروا به المسلمين مما ذكروه، ومما لم يذكروه، فهو في بعضهم، وليس في جميعهم، ونبيهم، وكتابه، ودينه، وشرعه بريء منه، وما عليه من معاصي أمته وذنوبهم، فإلى الله إيابهم وعلى الله حسابهم.

صلاة النصارى استهزاء بالمعبود

يقول ابن القيم - رحمه الله - [(١)] : والذين اختاروا صلاة يقوم أعبدهم وأزهدهم إليها والبول على ساقه وأفخاذه فيستقبل الشرق، ثم يُصلب على وجهه، ويعبد الإله المصلوب، ويستفتح الصلاة بقوله: «يا أبانا أنت الذي في السماوات، تقدس اسمك، وليأت ملكك، ولتكن إرادتك في السماء مثلها في الأرض، أعطنا خبزنا الملائم لنا»، ثم يحدث إلى من هو إلى جانبه، وربما سأل عن سعر الخمر والخنزير، وعما كسب في القمار، وعما طبخ في بيته، وربما أحدث وهو في صلاته، ولو أراد لبال في موضعه إن أمكنه.

ثم يدعو تلك الصورة التي هي صنعة يد الإنسان،

---

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص٥٠) .

فالذين اختاروا هذه الصلاة على صلاة من إذا قام إلى صلاته طهر أطرافه وثيابه وبدنه من النجاسة، واستقبل بيت الله الحرام، وكبّر الله وحمده، وسبحه، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ناجاه بكلامه المتضمن لأفضل الثناء عليه، وتحميده وتمجيده وتوحيده، وإفراده بالعبادة والاستعانة، وسؤاله أجلّ مسئول، وهو الهداية إلى طريق رضاه التي خصّ بها من أنعم الله عليه دون طريق الأمتين: المغضوب عليهم وهم: اليهود، والضالين: وهم النصارى.

ثم أعطى كل جارحة من الجوارح حظها من الخشوع والخضوع والعبودية مع غاية التحميد والثناء لله رب العالمين، لا يلتفت عن معبوده بوجهه، ولا قلبه، ولا يكلم أحداً كلمة، بل قد فرغ قلبه لمعبوده، وأقبل عليه بقلبه ووجهه، لا يحدث في صلاته، ولا يجعل بين

عينيه صورة مصنوعة يدعوها ويتضرع إليها.

فالذين اختاروا تلك الصورة التي هي في الحقيقة استهزاء بالمعبود، لا يرضاها المخلوق لنفسه، فضلاً أن يرضى بها الخالق، على هذه الصلاة التي لو عُرِضت على من له أدنى مسكة من عقل لظهر له التفاوت بينهما: هم الذين اختاروا التكذيب بخاتم الرسل محمد رسوله وعبده على الإيمان به وتصديقه واتباعه.

والعاقل إذا وازن بين ما اختاروه ورغبوا فيه، وبين ما رغبوا عنه، تبين له أن القوم اختاروا الضلالة على الهدى، والغي على الرشاد، والقبيح على الحسن، والباطل على الحق، وأنهم اختاروا من العقائد أبطلها، ومن الأعمال أقبحها، وأطبق على ذلك أساقفتهم وبطارقتهم ورهبانهم، فضلاً عن عوامهم وسقطهم.

تحـريف الكـتب

يقول الدكتور نصر الله أبو طالب: «لا يسعني في هذا التأليف إلاّ التعرض لقضية تحريف الأسفار والكتب المنسوبة إلى الأنبياء، رغم حرصي على عدم إثارة أهل الكتاب ولو أنّه في الواقع لا يسع أي عاقل - سواء أكان يهوديًا أم نصرانيًا - إلاّ الإقرار بتعرض الكتاب المقدس لتحريف كبير. . ، كيف ومؤلفوه والذين تناقلوه عبر قرون طويلة مجهولون، بل كيف وقد ثبت أن نسخه قد ضاعت تمامًا، وأنها لم تُكتب إلاّ من عدد ممن نُسبت إليهم بقرون كثيرة، ويستوي في ذلك الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام وتلك المنسوبة إلى بقية الأنبياء كداود ودانيال وغيرهم، وكذلك الرسائل والأناجيل النصرانية والتي لم تعرف إلاّ بعد قرون عديدة من بعد المسيح عليه السلام، ومن بعد كتابتها في عهد قسطنطين. .

وكيف يُنكرون تحريف الأسفار ونسخها المختلفة متناقضة ... والتناقض بين أجزائها - ضمن النسخة الواحدة - بيِّن وظاهر..، وتناقضها مع كثير من المُسَلَّمَات العقلية بيِّن وواضح ..، كيف والكتاب المقدس يقرّ في جوانبه بأنه قد حُوِّل إلى كذبة على الله عز وجلّ ..، بل كيف يزعم أحد أن الكتاب المقدس هو كلام الله، في الوقت الذي لا تزعم النصوص نفسها لنفسها، إلاّ أنها لشخص عاصر الأحداث وحكاها، وذلك أوضح ما يكون في كتاب النصارى التي تنسب إلى تلامذة المسيح لا إليه.

ومع أن التلاميذ ليسوا بأنبياء ولا رسل، فإنه حتى لا سند ولا دليل على صحة نسبة الكتب والرسائل إلى من نسبت إليهم من التلاميذ، فالكلام المكتوب في هذه الأسفار واضح أنه لكاتبه، وليس لله أو لرسول من رسله، إلاّ في مواضع قليلة يبدو وكأن المتحدث فيها قد

يكون الله عز وجل أو الرسول الذي ينسب إليه السفر أو غيره. . ، فهي رسائل لا يدّعي كاتبوها أنها كلام الله أو رسوله، وهي مع ذلك مقطوعة السند ومجهولة الكاتب والناقل ومتضادة فيما بينها، وما تنسبه طوائف أخرى منهم لنفس التلاميذ .

وكيف يزعمون أن هذه النصوص هي من الوحي، وهم يختارون منها ويدعون ما يشاؤون بلا وحي ولا نبي يُرشدهم لذلك [١].

---

(١) تذكر هيلين اليربي Helien Ellerbe في كتابها الجانب المظلم من التاريخ المسيحي، طبعة عام ١٩٩٥ ضمن فصل بعنوان: أساليب سياسية: جعل المسيحية مستساغة للرومان في الفترة ٢٠٠ - ٥٠٠م أن الكتابات المسيحية قد بُدلت لتكون مقبولة لدى الرومان، وأن عناصر من الوثنية قد أدخلت فيها، وأن أساس تقييم الفرد بعمله قد استبدل بالإقرار بالمعتقد العقدي (الذي وضعه بنيقية) وبطاعة رجال الكنيسة . . ، وتذكر الكاتبة أنه حتى عام ٤٥٠م كان هناك ما يزيد على مائتي إنجيل مختلف متداول بين الناس، وأن الكنيسة منعت وأحرقت هذه الأناجيل حتى اختفت، وتستشهد باعتراف الموسوعة الكاثوليكية بأن الفكرة القائلة بأن إقرار الأناجيل والرسائل الحالية =

فكيف إذا كان الذي اختار لهم وكتب لهم العقيدة وثني كقسطنطين (دخل في المسيحية عند مرض وفاته فقط) كما هو ثابت عند عامة المؤرخين، بل ومنها ما كُتب في فترات نصَّت نفس النصوص على غياب الأنبياء والوحي خلالها، ثم يأتي بعضهم لاعتبارها من الوحي الإلهي، كما هو الحال في كتابي المكابيين.

بل وكيف يزعمون أنها كلام الله وهم مازالوا

كان من بداية المسيحية .. «بأنها فكرة لا أساس لها تاريخيا» أو بمعنى آخر ان اختيار الأناجيل الحالية من قبل المجموعة التي احتضنها قسطنطين الوثني لم يكن على أي أساس من المسيح عليه السلام (إلا أساس عقيدة المجموعة نفسها في مقابل غيرها من المجموعات المسيحية التي من أهمها الناصريون) ومع هذا فقد تعرضت حتى هذه الأناجيل الأربعة - كما تستشهد المؤلفة بشهادات آخرين - فقد تعرضت للتبديل المستمر .. وتعلق على ذلك المؤلفة بانه بينما تدّعي الكنيسة أن الحقيقة راسخة لا تتبدل، فإنها قد وجدت في كل مرة سببًا لتبديل هذه الحقيقة .. ومثل هذا الحديث عن حرق ما يزيد على مائتي إنجيل مختلف قد ذكره كذلك كثير من الباحثين الآخرين.

ينقحونها في كل طبعة وفي كل عام، فهل تتنزّل الملائكة على كل دار طباعة، ولكل طبعة جديدة بوحي جديد حتى يزعمون أن هذه النصوص بما يحدثون فيها هي كلام الله عز وجلّ !!.

ولا يعنيني هنا استعراض الأدلة على وقوع التحريف؛ فهي لا تكاد تُحصى، وإنما أكتفي بإيراد أدلة العهد القديم نفسه على التحريف، مع الإشارة إلى بعض جوانب هذا التحريف وعلاقته بموضوع هذا الكتاب.

جاء في إرميا (٢٣ : ٣٦): «أما وحي الرب فلا تذكروه بعد؛ لأن كلم كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا..». وفي إرميا (٨:٨) «أما شعبي فلم يعرفوا قضاء الرب، كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا، حقًا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب..».

وفي إرميا (٨:٧): «ما أنتم اتكلتم على أقوال

الكذب، ولكن من غير جدوى»، وفي ذلك إشارة إلى افتراءاتهم على الله ورسله واتكالهم على هذا الكذب بعد ذلك.. وفي موضع آخر «ها قد رفضوا كلمة الرب، فأي حكمة لهم»، وفي إرميا (٣٦: ٣٢) أن إرميا أملى على باروخ سفره الذي أحرقه الملك يهويقيم ملك يهوذا، فزاد عليه كلامًا كثيرا مثله..

وفي المزمور (٦٥: ٤-٥) : «ماذا يصنعه بي البشر، اليوم كله يحرفون كلامي، على كل أفكارهم بالشرّ».

وفي رسالة بطرس الثانية (٣: ١٦): «كما في الرسائل كلها أيضًا متكلمًا فيها عن هذه الأمور، التي فيها أشياء عسر الفهم يُحرّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضًا لهلاك أنفسهم»..

وفي أشعيا (٢٩: ١٦) «ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الربّ فتصير أعمالهم في الظلمة.. يا لتحريفكم».

وجاء بالقرآن الكريم إشارات متعددة إلى تحريف بني

إسرائيل لكلام الله ووحيه على أنبيائه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)﴾ (البقرة: ٧٩).

وقال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠)﴾ (البقرة: ٩٠)، وقال تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾ (الحديد: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)﴾ (البقرة: ٨٧).

وفي الحديث الثابت عن رسول الإسلام محمد ﷺ ما يوضح هذا التحريف ومنه (رواية البخاري) قوله ﷺ: «إن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه

وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً.

وكيف يُنكرون التحريف، وفي ما ينسبونه إلى الوحي الإلهي إساءات متكررة إلى ذات الله عز وجل، فينسبون إلى الخالق الحزن والندم (التكوين ٦: ٥-٦، صموئيل الأول ١٥: ١٠)، والراحة من الجهد (التكوين ٢: ١-٢) والاستيقاظ كاستيقاظ النائم (المزامير ٧٨ ٦٥)، وينتقصون من علمه للغيب، ويتحدثون عن الله الخالق كما لو أنهم يتحدثون عن البشر المخلوق، وينسبون إلى أنبياء الله كل كبائر السرقة والزنا (بما فيهما الزنا بالمحرمات الذي أمرت شريعة موسى عليه السلام بقتل من ارتكبه، بل بقتل من زنا حتى بغير المحارم، لاويين ٢٠: ١١-٢٠، تثنية ٢٢: ٢١، يوحنا ٨: ٣ - ٥)، والتعري، وسوء الخلق، وعبادة غير الله، وارتكاب المجازر، وظلم الناس (انظر مثلاً افتراءاتهم في قصة زنا

بنتي لوط عليه السلام بأبيهما كما يزعمون في التكوين ١٩ : ٣٠-٣٧، وفي قصة زنا يهوذا - وهو من الأسباط الصالحين - بثامار زوجة أحد أولاده المتوفين، ولولا أنها أثبتت أنه كان هو الزني بها لأحرقت بالنار عقوبة على جريمتها (التكوين ٣٨ : ٦ - ٢٧)، وولدت له من هذا الزنا توأمًا أحدهما هو فرص جدّ داود عليه السلام!.

وفيما ينسبونه لداود عليه السلام من الزنا بزوجة أحد قواده، ثمّ تآمره على قتله بعد ذلك (صموئيل الثاني ١١ بأكمله عن هذه القصة) وقصص أخرى من الزنا بالمحارم!).

وما ينسبونه لداود ولشاول (طالوت) عليه السلام من احتيال، وسفك دماء الكهنة الصالحين، والأبرياء من النساء والأطفال والرّضع (صموئيل ٢١ : ١١-١٩، ١٨ : ٢٧، ٢٧ : ١١-١٢ ومواضع أخرى كثيرة).

وسكر نوح عليه السلام وتعريه أمام أولاده بالتكوين ٩ : ٢١ - ٢٢، واستغلال يعقوب لأخيه لأخذ حقه بالبركة بالتكوين

(٥:٢٧ - ٣٣)، ومصارعة يعقوب لربه (التكوين ٣٢:٢٤-٢٩) وغيرها من الكثير من الافتراءات..).

ولقد نفى القران الكريم صراحة ما افتروه على هارون عليه السلام (الخروج ٣٢: ١-٦) من أنه أمر بصنع العجل وعبادته، وعن سليمان عليه السلام من أنه كفر بالله وعبد غير الله كما زعموا بأسفار الأنبياء، كما استغرب عليهم زَعْمِهِم أنهم أبناء الله[1] وأحباؤه، مما يبين أن هذا الزعم هو من ضمن ما افتروه وركنوا إليه ثم هلكوا بسببه.

ونفى القرآن الكريم أن يكون موسى قد رأى الله عز وجل جهرة (الأعراف:١٤٣)، أو أن يكون التعب قد مسّ الله عز وجل من خلق السماوات والأرض، وأنه قد أمر كفار مكة بالتعري (الأعراف: ٢٨)، بينما ينسب الكتاب المنسوب لأشعيا (٢٠:٢-٣) أن الله أمره

(١) يخاطب اليهود - في صلواتهم - الله عز وجل بالأب، ويزعمون أنهم أبناء الله، بمعنى أحبائه المميزين لجنسهم لا لعملهم وطاعتهم للأنبياء .. وهو الأمر الذي نفاه عنهم أنبياؤهم.

بالتعري، فتعرى ومشى بين الناس حافيًا عاريًا لثلاث سنوات، وهو نبيّ..

كما ثبت في نسخ الإنجيل الحالية إنكار المسيح ادعاءهم - وهو ادعاء أدخلوه على نصوص أسفار العهد القديم - بأن المسيا أو المصطفى المنتظر هو من أبناء داود عليه السلام، في إشارة ساطعة على تعمّد تحريفهم للتوراة وأسفار الأنبياء..

ولا تكاد تحصر الشواهد على التحريف، ولذي سرد بعشرات المواضع المتناقضة ضمن صفحات الكتاب المقدس، ويكفي أن من النصارى من اعتبر أن الأخطاء بالكتاب المقدس والتناقضات المباشرة تصل إلى خمسين ألف خطأ أو تناقض، وذلك كما ذكر ذلك الأستاذ أحمد ديدات - رحمه الله - في رسالته عن الكتاب المقدس هل هو كلام الله تعالى..

ومن يقرأ الرسائل السرية (الأبوكريفا) المقدسة عند

بعض الطوائف، سواء اليهودية منها التي وقعت بأيدٍ مسيحية أو الرسائل المسيحية أصلاً يجد أنها قد حرّفت كثيرًا، وأدخلت عليها الكثير من عبارات التثليث وتأليه المسيح عليه السلام، وهو مما يُجمع عليه الباحثون بما فيهم النصارى منهم بأنه «إدخالات مسيحية»!!، وذلك من الأمثلة البارزة على الجرأة لتغيير الكتب الدينية وتحريفها.

ويبقى هنا أن نؤكد أن القضية الأولى التي استهدفها تحريف الوحي كانت قضية التبشير بخاتم الأنبياء.. فقد ثبت بالأناجيل أن المسيح عيسى عليه السلام قد أثبت لهم أن المصطفى (المسيا) لن يكون من أبناء داود، أي أنّ ذلك الادعاء بالكتاب المقدس هو من تحريفاتهم..، والقضية في الواقع أن التبشير كان بخاتم الأنبياء نبيًا من غير اليهود، وبأن النبوة ستخرج من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل الذين سيحملون رسالتها إلى أمم الأرض قاطبة، ذلك - أي مثل هذا التبشير - هو ما أثار مشاعر

الغيرة وعصيان الأنبياء والاعتداء عليهم . . ، ويفسر ما ورد في أعمال الرسل ٧ : ٥١ من قتلهم الأنبياء عند تبشيرهم بمجيء المصطفى (فأي نبي نجا من اضطهادهم وقد قتلوا الذين أنبؤوا بمجيء البار . .) والمقصود به المصطفى خاتم الأنبياء، لا عيسى عليه السلام، وإلاَّ فلمَ يقتل اليهود أنبياءهم الذين يبشرونهم بالمصطفى نبيًا من بني إسرائيل كعيسى عليه السلام . . ؟! وإلى عقوبة الموت لمن بشر بخاتم الأنبياء (من بني إسماعيل) هذه أشار كذلك إنجيل برنابا (الفصل ١٩٠ : ٣)، وقد جاءت إشارات عديدة إلى غيرتهم التي أعمتهم عن اتباع مملكة الله والانضواء تحت لوائها . . ، وسيرد معنا تذكير بهذا التحريف الذي مسّ كثيرًا من البشارات بالمصطفى[1] .

---

(١) تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (ص٢٢).

الأسباب المانعة من قبول الحق

يقول ابن القيم[1] - رحمه الله - : والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدًا، فمنها:

الجهل به: وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس، فإن من جهل شيئًا عاداه، وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بُغْضُ من أمره بالحق، ومعاداته له، وحسده، فكان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه، ومن يحبه ويعظمه، قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك.
توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه، قوي المانع من القبول جدًا، فإن انضاف إلى ذلك، خوفه من أصحابه وعشيرته

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص٣٩-٤١) .

وقومه على نفسه وماله وجاهه.

كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله ﷺ[1]، ازداد المانع من قبول الحق قوة، فإن هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه، فاختار الكفر على الإسلام، بعدما تبين له الهدى، كما سيأتي ذكر قصته إن شاء الله تعالى.

ومن أعظم هذه الأسباب : الحسد: فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فُضِّل عليه، وأوتي ما لم يؤتَ نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له، ويكون من أتباعه، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلاّ الحسد؟!، فإنه لما رآه قد فُضِّل عليه، ورفع فوقه، غص بريقه، اختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧) ، ومسلم (١٧٧٣)

وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم، وقد علموا علمًا لا شكّ فيه أنه رسول الله جاء بالهدى وبالبينات، فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحبار، والعلماء، والزُّهّاد، والقضاة، والملوك، والأمراء.

هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأتِ بشريعة تخالفها ولم يقاتلهم، وإنما أتى بتحليل ما حرّم عليهم، تخفيفًا ورحمة وإحسانًا، وجاء مكملاً لشريعة التوراة، ومع هذا فاختاروا الكفر كلهم على الإيمان.

فكيف يكون حالهم مع نبيّ جاء بشريعة مستقلة، ناسخة لجميع الشرائع، مبكتًا لهم بقبائحهم، ومناديًا على فضائحهم، ومُخرجًا لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه، وهو في ذلك كله يُنصر عليهم ويظفر بهم،

ويعلو هو وأصحابه، وهم معـه دائمًا في سفال، فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم؟!.

وأين يقع حالهم سعه من حالهم مع المسيح، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى، وهذا السبب وحده كـاف في رد الحق، فكيف إذا انضاف إليه زوال الرئاسات والمآكل كما تقدم.

وقد قال المسور بـن مخرمة[1] - وهو ابن أخت أبي

(١) حسن لشواهده: خبر لمسور لم أقف عليه، أما خبر الأخنس فوقفت عليـه، ولكن سيـاقه أن السـؤال والجـواب كانا بمكة فـأخرجـه ابن إسـحاق فـي «السيـرة برواية ابن هشـام» (١/١٩٦)، ومن طريقـه البيهقـي في «دلائل النبوة» (٢/٢٠٦)، من طريق الزهري أنه حُدِّثَ فذكره بنحوه.

قلت: وهذا سند ضعيف لإبهـام من حدث الزهري، وله شاهد من حديث عروة بن الزبير عند الطبراني في «الكبير» (٢٤/٣٤٦)، وفي إسـناده ابن لهيعة، ثم إرسال عروة.

وله شـاهد من حديث المغيـرة بن شـعبة أخـرجه ابن أبي شـيبـة =

جهل - لأبي جهل: يا خال، هل كنتم تتهمون محمداً قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي، والله لقد كان محمد فينا صادقًا وهو شاب يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذبًا قط، قال: يا خال!، فما لكم لا تتبعونه؟! قال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الرُّكب، وكنّا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبيٌّ فمتى ندرك مثل هذه!.

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟، فإنه ليس ها هنا من قريش أحدٌ غيري وغيرك يسمع كلامنا؟

(٦/ ٥٥٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٧) من طريق: هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعب، وإسناده ضعيف للانقطاع بين زيد والمغيرة، فالذي أراه والله أعلم: أن القدر المشترك بين هذه الروايات وهو إقرار أبي جهل بالنبي ﷺ وتعليله للتكذيب؛ هذا القدر يحسن لشواهده، والله أعلم.

فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء، والحجابة، والسقاية، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟!.

فهرس